Tel.: 788166-323864 MAJALLAH Regd. No.LW/NP 59
AL-BAAS-EL-ISLAMI
(Issue-1) Nov. Dec.2000 (Monthly)

صدر حديثاً :

مختصر كتاب إظهار الحق

للعلاَّمة الشيخ رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانويّ الهنديّ
(رحمه الله)

اختصار وتدقيق محقِّق الكتاب

د. محمَّد أحمد محمّد عبد القادر ملكاويّ
الأستاذ المساعد بجامعة الملك سعود

طبع ونشر
وزارة الشؤون الإسلاميَّة والأوقاف والدعوة والإرشاد
ركالة شؤون المطبوعات والنشر
الرياض - المملكة العربيَّة السعوديَّة
وقف لله تعالى

Printed and Published by AT HAR HUSAIN on behalf of Majlise ... Of Journalism and Publicity) Nadwatul

المجلد ٤٦ ٣

شعارنا الدعوة إلى الإسلام بين جميع ...

البعث الإسلامي

العدد الثاني | مجلّة اسلاميّة شهريّة جامعة | شوال المكرم ١٤٢١هـ

المجلّد السادس والأربعون

في هذا العدد

حكمة الله في بقاء دين
انطلاق الدعوة الإسلامية
بيعة الإيمان وصفاته
في ضوء التقاسة للإمام
العلامة الشيخ
السيد أبو الحسن علي
مجددا الطريقة
الأحرف السبعة للقرآن
مدرسة قرآنية
تواجه حضارة الغرب
مرض القلوب وشفاؤها
دور الصيام
في بناء حضارة الإسلام
الإمام الحافظ الزيلعي
تاريخ الإسلام في القوقاز
الإسلام في لداخ
طلاق السكران
خطر الجفاف على المستقبلية العالمية

تصدرها: مؤسّسة الصّحافة و النّشر

٨٣٧٨
١٣٣٦/١١

أنشأها
فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني -رحمه الله تعالى-
في عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

رئاسة التحرير :
سعيد الأعظمي
واضح رشيد الندوي

المجلد السادس
والأربعون

العدد الثاني
شوال المكرم ١٤٢١هـ
يناير ٢٠٠١م

"ندوة العلماء"

قامت "ندوة العلماء" في هذه البلاد
في فجر هذا القرن الهجري ، تنكر على عامة المسلمين
زيغ العقيدة وفساد الأخلاق ، وعلى العلماء كثرة الشقاق والجهاد
في غير عدو ، وتنعى على البدع التي دخلت في حياة المسلمين واستهلكت أموالهم
واستنفدت قوتهم ، وتدعو إلى إصلاح نظام التعليم الذي قد فقد جدته وحياته
ونسي رسالته ، وإلى تخريج العلماء الذين يبلغون رسالات الله في لغة
هذا العصر وأسلوبه ، حتى تتحقق الغاية المنشودة
من التعلم والتفقه ، وهو الإنذار :

﴿ ليتفقهوا في الدين * و لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ﴾

(أبو الحسن علي الحسني الندوي)

المراسلات
البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة والنشر
ص.ب ٩٣ - لكناؤ
الرمز البريدي : ٢٢٦٠٠٧ (الهند)

المراسلات
ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o NADWATUL ULAMA
P.o. Box. 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)

البعث الإسلامي
دار العلوم ندوة العلماء لكناؤ (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAM
DARUL ULOOM NADWATUL ULAMA
P. O. Box : No. 93, Lucknow (India)
Phones : 788166-323864
Fax : 0091-522-380570

رسالة أخوية مهمة

حضرة الأخ القارئ الكريم ! حفظه الله تعالى للإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فنتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة ، نشكركم على ما تتابعون من قراءة : "البعث الإسلامي" ، وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة ، تصدر من ٤٥/عاماً بالاستمرار ، وهي الآن في عامها السادس والأربعين - والحمد لله - .

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً ، وبتكلفة باهظة ، وهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم ، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي منكم ، وببذل شئ من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم ، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول .

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك ، باسم : (ALBAAS-EL-ISLAMI) .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
أخوكم المخلص
سعيد الأعظمي الندوي
رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي"
ص.ب٩٣ - مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء - لكناؤ (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o NADWAT-UL-ULAMA
P. O. Box : No. 93,
Lucknow-226007 (India)

في هذا العدد

☆ حكمة الله في بقاء دينه — سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله تعالى) — ٣

الافتتاحية :

☆ بيعة الإيمان وصناعة الموت ! في ضوء انتفاضة الأقصى الحالية — سعيد الأعظمي الندوي — ٤

التوجيه الإسلامي :

☆ العشرة الإسلامية — سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي — ٩
☆ الأحرف السبعة للقرآن الكريم — فضيلة الشيخ محمد تقي العثماني — ١٦
☆ مدرسة قرآنية تواجه حضارة الغرب المادية — أ. د/عبد الحليم عويس (القاهرة) — ٢٤

الدعوة الإسلامية :

☆ انطلاق الدعوة العالمية — سعادة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي — ٣٣
☆ مرض القلوب وشفاؤها — د/محمد بن سعد الشويعر — ٣٩
☆ دور الصيام في بناء حضارة الإسلام — الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد — ٤٨

دراسات و أبحاث :

☆ الإمام الحافظ الزيلعي — الأستاذ محمد رحمة الله الندوي — ٥٦
☆ تاريخ الإسلام في القوقاز — د/محمد السيد علي بلاسي — ٦٤
☆ الإسلام في "لداخ" — الأستاذ عبد الغني شيخ اللداخي — ٧٠

الفقه الإسلامي :

☆ طلاق السكران — الأستاذ محمد مصطفى عبد القدوس الندوي — ٧٥
☆ خطر الجفاف على المستقبلية العالمية — د/إبراهيم الراوي (العراق) — ٨٣

نافذة على حياة الإمام الندوي :

☆ العلامة الشريف أبو الحسن علي الندوي ، مجدداً لقرنه وإماماً — الأستاذ محمد أكرم الندوي — ٨٦

أخبار ثقافية واجتماعية :

☆ رابطة الأدب الإسلامي العالمية
☆ الاجتماع/١٤ - لهيئة الأحوال الشخصية الإسلامية — تعقد ندوتها الأدبية السنوية/١٤ ، حول موضوع "أدب الأطفال" — الأستاذ إقبال أحمد الندوي — ٩٥
☆ البروفيسور معين الأعظمي الندوي ، ينال جائزة رئيس الجمهورية الهندية — قلم التحرير — ١٠٠ ، ١٠٠

☆ ☆ ☆

بسم الله الرحمن الرحيم

الإمام الندوي رحمه الله يقول :

حكمة اللّه في بقاء دينه

"**إن** الله - جّت قدرته - قد تكفل ببقاء دينه ودبّر له من عنده تدابير ، نشاهد منها اثنين بصفة خاصة ، وذلك لمكافحة تلوثات العصور ، وتلوثات البيئات الاجتماعية ، وتأثيراتها المنعكسة على المجتمعات البشرية ، أحدهما : أنه سبحانه وتعالى بعث رسوله الأمين - صلوات الله عليه وسلامه - بدين كامل شامل لجميع ما يحتاج إليه الإنسان على اختلاف زمانه ومكانه ، وليكون مستعداً لمواجهة مستحدثات عصره ، وحلّ مشاكله ، وقهر العقبات والسدود الموضوعة في طريق الدعوة إلى الله ودينه .

٢- كما تكفل له - و التاريخ خير شاهد على ذلك - بأن يخلق من بين عباده في كل عصر أفراداً ليقوموا - جماعات أو فرادى - بحماية هذا الدين ومواجهة كل ما يستجدّ من صعوبات وعقبات ، بكل قوة ونشاط ، وعزيمة غريبة تفوق مدى المقادير والقياسات ، وقد أنعم الله عليهم بمواهب نادرة في تربية الرجال ، وتخريج عباقرة في التضحية ، والتفاني في الله ، وفي دينه ، الأمر الذي لا نجد له في تاريخ الديانات نظيراً ، وليس هذا - كما يبدو جلياً - حادثاً وقع صُدفة أو رآها الناس خُلسة ، بل أمر من الله وحكمة من حكمه ، فكلما وجد داء أوجد له دواءاً ، وما من سم إلا وقد خلق له ما يحتاج إليه من الترياق في حينه ومكانه .

سماحة العلامة الشيخ
السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

بيعة الإيمان ... وصناعة الموت !

في ضوء انتفاضة الأقصى الجالية

المؤمن الصادق يرخص نفسه وماله في سبيل ربه ، ولا يبالي بما يلاحقه في هذا الطريق من متاعب وعراقيل ، وما يقوم في وجهه من عقبات كأداء تكفي لتثبيط الهمة ، وإضعاف العزيمة ، ولكن الدروس التي تلقاها الرجل المؤمن من خلال عقيدته ، وحلاوة الحب التي ذاقها في حياته مع الله تعالى ، تحول دون جميع العوامل المادية التي تستطيع أن تقف حجر عثرة في طريقه نحو تحقيق الأهداف الإيمانية الغالية ، والصفقة الربانية التي تمت بين الله سبحانه وتعالى ، وعباده المؤمنين الذين يتميزون بصفات الإيمان الكاملة ، فلا يملكون شيئاً من الأنفس والأموال ، والأهل والأولاد ، والمستقبل والإمكانيات إلا ويبيعون ذلك لله تعالى ، ويتجردون عن تصرفاتهم في جميع العوامل المادية ، ويترقبون حكم الإيمان في كل شئ ، فأولاً : النفس التي لا يضنون بها كلما واجهتهم مواقف القتال في سبيل الله ، وثانياً : المال الذي لا يبخلون بإنفاقه في وجوه الخير يبتغون به وجه الله تعالى ، الذي ينعم عليهم بالجنة مقابل ذلك ، وهي تكون ثمناً غالياً لسلعة رخيصة تشترى بأقل ثمن ، وذلك ما يبشر به الله سبحانه عباده

المؤمنين في كتابه العظيم ، فيقول : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة * يقاتلون في سبيل الله * فيَقتلون ويُقتلون * وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن * ومن أوفى بعهده من الله * فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به * وذلك هو الفوز العظيم ﴾ .

هذه الآية تؤكد أن حياة المؤمن بجميع منافعها ومرافقها ، إنما هي ملك لله تعالى ، وهي ترتبط به ارتباطاً وثيقاً بوشيجة الإيمان والعقيدة ، وتقيم حداً فاصلاً بينها وبين حياة غير المؤمن الذي لم يحظ بهذه السعادة ، ولم يتعرف بهذه الصفقة ، فكان من الخاسرين ، أما المؤمن بالله تعالى ؛ فهو مسئول عن أداء أمانة المبيع إلى الله تعالى ، وذلك بتقديم ضريبة العبودية من خلال أعماله ونشاطاته ، وحتى أنفاسه التي يعدها في سبيل الله ، وهي سعادة عظيمة لا سعادة بعدها ، فإن الله تعالى يشترى منه ما قد أكرمه به وخلع عليه من عظيم نعمة النفس والمال ، التي ليس للعبد فيها أي دخل ، إن الله هو الذي خلق النفس والمال ، ومنحه حق التصرف فيهما بطريق شرعي ، ولكنه يرفع قيمة المؤمن الذي يرد إلى ربه هذه النعمة الفانية ، ويأخذ بإزائها ثمناً غالياً لا يفنى ولا يزول ، يرد إليه النفس التي لا تخلد ، والمال الذي لا يستقر ، ويأخذ بهما الجنة التي ليس لها زوال ، ولا نقص في أي حال .

ذلك هو المؤمن البائع نفسه وماله لله تعالى ، الذي يعيش في الدنيا بصفاته المتميزة التي تتلخص في الآية التي بعدها : ﴿ التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون * الآمرون بالمعروف * والناهون عن المنكر * والحافظون لحدود الله * وبشر المؤمنين ﴾ ، وهي أوصاف تشمل جميع مناحي حياة المؤمن ، وتعين له

الطريق نحو الله ، وتبين له المسيرة التي يسير عليها ، والمعالم التي لا تفوته في حال ما ، ومن ثم يعرف المؤمن المخلص مسئوليته نحو ربه وعباده ، ويسعى إلى تأديتها بكل أمانة ودقة ، ولا يتغافلها في أيّ وقت ، فيتعاون على البر والتقوى ، ويدعم وسائل الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، ويمثل دور خير أمة أُخرجت للناس .

ذلك هو الدور العظيم الذي يفرض عليه القيام بالحق ، وإظهاره في كل مناسبة ، وإزهاق الباطل ودحره في كل مكان ، يفرض عليه أن يقوم بجوار المظلوم ، واسترداد حقه بطريق ممكن ، وتطهير أرض الله من الظلم والظالمين الذين يعيثون في الأرض فساداً ، ويضيقون الخناق على أهل الحق ، ولم تكن شرعية الجهاد في سبيل الله تعالى إلا لإعلاء كلمة الله في أرض الله ، وإقرار الأمن والسلام فيها ، ودحر كل فتنة عمياء تسبب الدمار والخراب وتقوي وسائل العدوان والطغيان ، وتملأ الأرض فساداً وظلماً ، وجوراً وعسفاً ، وكلما حدثت في المجتمعات البشرية ظروف من غصب الحقوق ، وسلب الحرية ، والظلم والقسوة ، واندلعت نار الفتن والشرور انطلقت غضبة الإيمان تحاربها ، وتعتمد على وسائل تقضي عليها ، وتخمد نارها .

إن الوضع الذي يعيشه المسلمون في فلسطين اليوم ، والوسائل القمعية والإرهابية التي يواجهونها في القدس حالياً منذ أن قام بعض المجرمين الوقحين من اليهود بالاقتحام في المسجد الأقصى المبارك بنوايا سيئة ، بل استفزازاً لعواطف المسلمين في العالم كله ، وإثارة لحفائظهم الإيمانية التي لا تصبر على انتهاك حرمة المسجد الأقصى ، والمقدسات الإسلامية ، وكنتيجة انطلقت مظاهرات غاضبة ضد إسرائيل في الوطن الفلسطيني ، واجهتها الدولة المحتلة بالدبابات

والصواريخ والقذائف التي ذهب ضحيتها عدد ضخم من الشباب المسلم الفلسطيني العزل ، الذي قاوم كل عدوان بسلاح الإيمان ، وأعاد تاريخ الجهاد الفلسطيني من جديد ، الذي قاتل هذه الفئة المغضوب عليها ببسالة منقطعة النظير ، وسجل صفحات مشرقة من الجهاد الإسلامي الذي لم يشرعه الإسلام إلا لإقرار الحق والأمن والسلام في الأرض ، ومحو الظلم بجميع أنواعه من العالم البشري .

وإن اليهود الذين صرح الله سبحانه وتعالى بخبث طويتهم ضد الإسلام ، وشدة عداوتهم على المسلمين ، إنما يحاربون الله ورسوله ، والمؤمنين بكل ما يملكونه من قوة النفس والمال ، وهم الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر ، ويتحينون الفرص للقضاء عليم نهائياً ، وإن كانت مكايدهم لا تنال قراراً أمام ذلك الزحف الإيماني الثائر الذي يدفع شباب الأمة المؤمن إلى استقبال الموت في سبيل الله بصدور مفتوحة ، وقلوب مسرورة ، فذلك هو الشباب المؤمن الذي جعل الموت في سبيل الله صناعة مستقلة ، وهو يعتز بهذه الصناعة في كل معركة تدور بينه وبين اليهود في العالم ، وخاصة في فلسطين القدس التي احتلها الصهاينة ، ودنسوا فيها المقدسات الإسلامية بتآمر من المعسكرات العالمية التي يسيطر عليها اليهود ، وهم يريدون أن تتسع مساحة سيطرتهم الخبيثة في العالم الإسلامي كله .

إن ما يجرى اليوم في هذا الوطن الإسلامي العريق ، في المسجد الأقصى ، ومسرى الرسول الكريم ﷺ من أوضاع ومخططات صهيونية ، وما حدث من المذابح التي ارتكبها الصهاينة بجوار المسجد

الأقصى ، وأجباء العرب المسلمين المحتلة لأدلّ دليل على أن هذه الشرذمة المرذولة تعبث بكرامة المسلمين ، و تنتهك حرماتهم ، و تدبر ضدهم كل مؤامرة ، لاقتلاع جذورهم الإيمانية ، وتجريدهم عن دوافع الشهادة ، وتحويلهم إلى أمة ميتة ليس لها شأن ، ولا حرمة ، ولا تاريخ مشرق ، فهي تستهدف الشباب المؤمن الغيور الذي يفور دمه ضد أعداء الإنسانية ، ويجيش صدره بالثورة على الشذاذ الأفاكين ، الذين ضربت عليهم الذلّة والمسكنة ، فباؤا بغضب من الله ، ومهما دبرت إسرائيل تدابير إجرامية لفرض الحصار ، وإنزال العقاب على هذه الأمة المؤمنة بالاعتماد على المعدات الحربية الحديثة ، والقنابل المدمرة التي تزودها الولايات المتحدة بكل وقاحة وجراءة ، ولكن الإيمان الذي يستقر في القلوب ، ويصنع التاريخ ، ويأتي بالمعجزات لن يقهر بأي قوة ، وإن كانت هي قنابل ذرية فتاكة .

إن هذه الصناعة التي يعتنق بها أعضاء هذه الأمة أقوى من كل صناعة عسكرية ، وطاقات ذرية ، وهي أسمى غاية للمسلم ، وأكرم أمنية لكل فرد مؤمن ، لا يستهدف من خلال ذلك إلا تطبيق شريعة الله ، وإعلاء كلمة الله ، وتعميم عبودية الله في الأرض ، وبناء مجتمع إسلامي يضم البشر كلهم تحت راية الدين الخالد ، الذي أكمله الله سبحانه للإنسان ، وبذلك أتم نعمته عليه ، وهو دين الإسلام .

﴿ و مَن يبتغ غير الإسلام ديناً * فلن يُقبل منه *
و هو في الآخرة من الخاسرين ﴾

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ..

سعيد الأعظمي
١٤٢١/٧/٢٠هـ

التوجيه الإسلامي :

العشرة الإسلامية

[كلمة ألقاها سماحة الشيخ العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي في ندوة المرأة المنعقدة في ١٩/يونيو ١٩٧٧م في "شيكاغو" بالأردية ، وقام بترجمتها إلى العربية : الأستاذ فيصل أحمد البهتكلي الندوي]

إني أشكركم من صميم قلبي على توجيهكم الدعوة إليّ للحضور في هذه الندوة القيمة ، وعلى إتاحتكم لي فرصة للتحدث إليكم في موضوع هام خطير وحساس يتعلق بالحياة كلها ، كما أشكركم على التعديل في برنامجكم من أجل مشاركتي في هذه الندوة ، ويدل ذلك على كرمكم وسماحتكم .

أتلو عليكم الآن آية من القرآن الكريم تدل على نظرة الإسلام إلى العشرة والحياة الزوجية ، وتصوره وموقفه الجدي الواقعي نحو المرأة ، وهذه الآية هي فاتحة : "سورة النساء" وتسمية السورة بسورة النساء دليل في ذاته على ما أحله الله لطبقة الإناث ، وما أكرم به هذا الجنس اللطيف من المكان والمنزلة ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ يا أيها الناس ! اتقوا ربكم * الذي خلقكم من نفس واحدة * و خلق منها زوجها * و بثّ منهما رجالاً كثيراً و نساءً * و اتقوا الله * الذي تساءلون به و الأرحام * إن الله كان عليكم رقيباً ﴾ .

إن هذه الآية تلقي ضوءً كاملاً على تصور الإسلام نحو طبقة الإناث ، وكيفية الربط بين الزوجين ، وما على عاتق كل واحد منهما من المسئولية ، ذكر الله سبحانه وتعالى أنه خلق هذين النوعين الذكر والأنثى كخلق واحد ، وأن أحدهما مرتبط بالآخر كأنهما جزءان لجسم لا ينفكان ، وأما ما يلاحظ في خلقهما من فرق يسير فلكي يقطع كل واحد منهما مراحل

الحياة بخير وعافية وطمأنينة وهدوء .

فانظروا قبل كل شئ إلى أن هاتين الطبقتين منبعهما نفس واحدة ، ثم قسمت هذه النفس الواحدة إلى قسمين ، ولا تناقض بينهما ، ولا تعارض ، بل يجتمعان على نقطة واحدة ، قد رُزق هذا الإنسان المسافر الذي يقطع مراحل الحياة رفيقاً من جنسه ، وهو جزء من جسمه ، ثم منهما انبث النسل الإنساني ، وانتشرت الذرية البشرية ، قد بارك الله في ترافقهما وتوادهما كثيراً ، كانت نسمتان فبث الله تعالى منهما وألوفاً مؤلفة وملايين الملايين ، حتى استعصى على الكمبيوتر أن يحصى ما خلقه الله من الجنس البشري حتى الآن الذي لا يعلمه إلا الله ، وقد أشار الله إليه بقوله : ﴿ كثيراً ﴾ .

☆ كل إنسان سائل ومسئول :

ثم يقول الله سبحانه وتعالى بعد هذه الحقيقة : ﴿ اتقوا الله * الذي تساءلون به ﴾ ، وقد ورد ذلك في القرآن لأول مرة أن كل فرد من أفراد المجتمع الإنساني مرتبط بغيره ، ولا يستتب أمره إلا بتعاون غيره ، فكل سائل ، وكل مسؤل ، ولم يضع السائلين في جانب ، والمسئولين في جانب آخر ، بل قال : ﴿ يتساءلون ﴾ والتساؤل ، هو السؤال والجواب من الجانبين ، فالسائل مسؤل أيضاً ، والمسؤل هو سائل ، فالتساؤل هو ما يجرى بين الفريقين من السؤال ، وحياتنا الاجتماعية والمدنية ، هي حبالة يقع فيها كل فرد (لا محيص عنها لأي فرد) فكل واحد يحتاج إلى الآخر ، إن المرء لايستطيع أن يقضى حياته الطبيعية بدون المرأة ، وكذلك المرأة لا تستطيع أن تعيش بسعادة وهناء من غير الزوج ، قد جبل كل واحد منهما متسائلاً ومحتاجاً إلى الآخر حيث لا يتم معاش أحدهما إلا بالآخر ، فهو لا يقضى لبانته إلا بها ، وهي لا تفى بحاجتها إلا به .

☆ اسم الله يقرّب البعيد : ثم قال : إن الذي تساءلون به هو "الله" ، فإن

المجتمع الإسلامي لا يقوم إلا على أساس توحيد الله وعظمته وقدرته وكبريائه ، ولا يحل اصطحاب الرجل المؤمن مع المرأة المؤمنة ومرافقته معها إلا إذا قرن ذلك باسم الله ، وعُقد به ، فإن اسم الله هو الذي يقرب البعيد ، ويدني القاصي ، ويحبب المبغض ، ويُرضى المعرض ، ويُربّت النافر ، ويُؤلف بين قلوب الأعداء الذين لا تطيب نفس بعضهم ، ولا ترضى أن يرى وجه صاحبه ، فيجمع بين هؤلآء ، و يحبب بعضهم إلى بعض ، ويلقى بينهم مودة ورحمة ، حتى لا يُتصور أن يعيش أحد الزوجين حياة أمن وهدوء وسعادة وهناء بغير رفيق ، ويكونان مترافقين ، وكل واحد منهما يكون قائماً بواجبه نحو صاحبه ، إن التواصل بين الزوجين ؛ تواصل حب واعتماد ، بحيث قد يفوق حب الأبوين ، فما نرى بين الزوجين من اعتماد و ثقة متبادلة ، و انبساط و ألفة وحرية ، لا نتصور ذلك في أي قرابة دونها ، وهذا كله من معجزات اسم الله تبارك وتعالى ، إنه عالم جديد يوجد ببركة هذا الاسم ، فمن كان بالأمس أجنبياً يصير اليوم أحب شخص وأعزه ، إن المسلم والمسلمة لا يحل لأحد منهما أن ينبسط ويسترسل إلى الآخر ، ولا أن يصطحبا في السفر ، فإن كل واحد منهما محرم على الآخر إلا بكلمة الله ، التي تنشأ بها بينهما المحبة والمودة ، وتتوطد بها الوصلة والرابطة .

من بلاغة القرآن وإعجازه الباهر للعقول أن عبر الله تعالى بقوله : ﴿ تساءلون به ﴾ عن ترابط المجتمع الإنساني وتلاصقه وتواصله تعبيراً يعجز عنه أفخم دستور وضعي ، وأعظم مرسوم تشريعى ، ويعجز عنه كذلك أضخم كتاب في علم الاجتماع .

وقال أيضاً : إن الاسم الذي تستحلون به الحرام ، وتستبيحون به المحظور ، و تُحدثون به انقلاباً عظيماً في حياتكم ، هو اسم مبارك مقدس ،

فاتقوه وعظموه ، واعرفوا قدره واحترموه .

وقد أوضح القرآن هذا الاتصال العميق ، والارتباط الوثيق بين الزوجين بتعبير أدق وأشمل ، فقال ﴿ هُنَّ لباس لكم * وأنتم لباس لهن ﴾ ، انظروا إلى روعة هذا البيان القرآني وجلالته في إبراز معنى احتياج كل من الزوجين إلى الآخر : إن التستر والتزين من أهم ما يحتاج إليه الإنسان في حياته ، وليست هناك كلمة أشمل لمعناهما من اللباس ، فشبه الله كلاً من الزوجين باللباس للآخر ، ففي هذا التعبير نهاية ما يتصوره الإنسان من الترابط والتواصل بينهما ، كما أن اللباس يستر صاحبه ، ويكون هو إذا تجرد عنه أشبه بالحيوان والوحشي منه بالإنسان ، كذلك الزواج يصون على صاحبه عرضه وعفته ، وبدون ذلك يتدرج إلى الحياة الوحشية ، ويبتعد عن الحضارة .

☆ الزواج عبادة : لم ينظر الإسلام إلى الزواج كحاجة للإنسان يقضيها لإشباع غريزته فحسب ، بل جعله عبادة يتقرب بها العبد إلى الله ، وبتعبير أوضح ، إن عقد النكاح ليس إلا للرابطة الازدواجية التي لا مناص منها ، ولا يتمتع الإنسان ، ولا تحلو حياته بدونها ، بل إن النكاح مُنح صبغة دينية ، و وُضع بمثابة العبادة ، ولذلك قدم رسول الله ﷺ في حياته نموذجاً رائعاً ، ومثالاً أفضل ، وقدوةً طيبةً ، وأسوةً حسنةً في ذلك ، وقال "خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي" (١) .

وفي السيرة النبوية أمثلة كثيرة لما كان النبي الكريم ﷺ يُضمره من إكرام للمرأة ، ورعاية عواطفها الرقيقة ، ومشاعرها اللطيفة ، فكان يراعيها، ويقيم لها وزناً كبيراً لا يوجد لدى أكبر مدافع عنها ومطالب بحقوقها ، ولا يوجد عند كثير من العباد وأصحاب القدسية والورع ، وما نرى في حياة

(١) رواه الترمذي في المناقب ، باب فضل عائشة : رقم/٣٨٩٥ عن عائشة رضي الله عنها وابن ماجة في النكاح ، باب حسن معاشرة النساء : رقم/١٩٧٧ ، رواه الشيخان عن أنس ﷺ .

النبي الكريم ﷺ من الملاطفة والمداراة لأزواجه المطهرات ، والمداعبة بهن ، والمشاركة معهن في أسباب التسلية والمتع المباحة ، والرعاية لعواطفهن ، والعدل بينهن لا نجد له نظيراً ولا مثيلاً .

وتجاوزت ملاطفته ﷺ من حياته الداخلية إلى الأطفال ، وسلك معهم نفس السلوك حتى كان يخفف صلاته التي كانت أحب الأشياء إليه ، وكانت قرة عينه ، لكيلا تقلق أم لولدها لطول الصلاة ، فكلما كان يسمع صوت بكاء صبي يتجوز في صلاته ، وهذا أكبر تضحية للنبى الكريم ﷺ ، فلم يكن عنده شئ أهم ولا أعظم من الصلاة ، يقول الرسول الكريم ﷺ : "إني لأدخل في الصلاة ، وأنا أريد إطالتها ، فأسمع بكاء الصبي ، فأتجوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه (١) .

☆ الحضارة الغربية آخذة في الهبوط : فهذه النمادج أمامنا ، ومعنى ما يقوله الله سبحانه وتعالى : "إن الاسم الذي تستعينون به لحاجتكم اسم عظيم يجب رعايته ، و الاحتفاء به ، و الحياء منه ، فلا يستخدم لمجرد الاستمتاع بل يجب تأدية حقوقه ، وهذا الأمر للرجال والنساء سواء" .

أنتم ههنا في مجتمع أمريكي لا يكفيكم الإقرار بالعقائد الإسلامية ، بل لابد لكم أن تعرضوا النظام العائلي للإسلام أمام هذا المجتمع ، إن الحضارة الغربية متجهة بخطى حثيثة نحو الزوال والفناء ، لعلكم تشعرون بذلك ، ولا يخفى ذلك على أحد ، وذلك بسبب أن نظام الأسرة اختل ، وانتشرت فيها الفوضى والاضطراب ، ولا تزال الحياة الاجتماعية تتضاءل ، وتزول عنها الروابط و الصلات ، و الثقة بين الزوجين ، ويدعو هذا الوضع

(١) البخاري في كتاب الأذان ، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي : رقم/٧٠٩-٧١٠ ومسلم في كتاب الصلاة ، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام : رقم/٤٧٠ ، وأخرجه البخاري عن أبي قتادة أيضاً .

إلى القلق الذي يجب أن يساور فلاسفة الغرب الذين يهيمون على وجوههم ، ويلزم عليهم أن يهتموا بحلّ هذه المشكلة ، حتى يصونوا النظام العائلي للغرب من تشتت شمله ، وتفكك حبله .

لابد للزوجين من التوادد والتحابب والتآلف ، وفي ذلك لذة الحياة الحقيقية ، وبذلك يسهل الصبر على الفاقة - إن وُجدت - بطيب النفس وبدون شكوى ، ولم تزل في بلادنا الشرقية أسرٌ وبيوتات تعاني من الفقر وتتقوت بالكد والكدح ، ولكن أهلها يذوقون حلاوة الجنة بما فيهم من التحابب و التواصل ، فهم ينسون فقرهم كلما رأوا وجه أخيهم .

والمجتمع الأمريكي لم ينقصه شئ ، قد تراكمت فيه الأسباب وتكدست الوسائل لدى الناس الذين سخروا لهم طاقات من الكون كثيرة ، ولكنهم مع ذلك لم يستطيعوا أن يغيروا دنيا قلوبهم ، ويحولوا بيوتهم إلى جنة ، كما قال الشاعر محمد إقبال : "إن الذي يبحث عن منازل النجوم ومساراتها لم يقدر على السير في عالم أفكاره" .

☆ البحث عن الطمأنينة :

إن الذي استولى على أشعة الشمس ، وأمسكها بيده ، لم يستطع أن يحول ليل حياته الحالك إلى الصبح المشرق ، لو كان إقبال حياً لقال : "إن الإنسان الغربي الذي وصل إلى القمر ، واستمر في البحث عن منازل النجوم لم يستطع السفر في عالم أفكاره ، ولم يستطع أن يجعل بيته باقة أزهار وجنة أثمار ، فالذي سعى في توفير أسباب الدنيا ليجعلها مثل الجنة قد صار بيته مثال جهنم ، وهو في ضجر دائم وضيق قائم لم يستطع المحيص عنه ، إن في أمريكا وأوربا أسراً لم يكن عند أفرادها أي أثر لتهدئة القلوب وترويح النفوس في البيوت ، فلا يشعرون إذا كانوا في بيوتهم أنهم يعيشون في هناء حال وراحة بال ، بل يفرون من البيوت ، ويلجأون إلى النوادي والمتنزهات ، باحثين عن السلوة والطمأنينة .

☆ الاحتياج و الإحترام :

إنني أعتقد أن الذين يعيشون في هذا المجتمع منذ عشرات السنين لأعرف مني بهذه الأزمة والمأساة والجانب الضعيف ، فلا أرى باعثاً على مزيد من التفصيل ، وعلى كل حال ، فقد عرض الله سبحانه وتعالى في هذه الآية صورة بدائية للاجتماع الإسلامي الذي هو قائم على احترام بعضهم بعضاً ، واحتياج أحدهم إلى الآخر ، كل إنسان يحتاج إلى غيره ، ولكن الشعور بالحاجة والاعتراف بالمن والإحسان شئ آخر، وهي حالة نفسية تعتري الإنسان ، وهذه الحالة النفسية يريد الإسلام أن ينشئها في أتباعه كي يعتقد كل واحد منا نفسه محتاجاً إلى الآخر ، ويعترف باحتياجه إليه ، ويحترمه ويعظمه .

وأخيراً أدعو الله سبحانه وتعالى أن يوفقكن إلى الخير والسعادة ، ويهديكن سواء السبيل ، وأن تستطعن أن تعرضن في هذه البلاد نموذجاً رائعاً للحياة الإسلامية ، والاجتماع الإسلامي يستلفت أنظار أعضاء هذا المجتمع الجائر القلق ، فيندفعون إلى أن يطالعوا الروابط العائلية ، و الاتصالات الاجتماعية للإسلام بجد وهدوء ، فيفضلوا هذا النظام الإسلامي على غيره ، ويتمنوا أن يحظوا بهذه النعمة العظيمة ، فإن فعلتن ذلك لأسديتن إلى هذه البلاد خيراً عظيماً ، وإحساناً كبيراً ، ولأديتن واجبكن نحو الدعوة الإسلامية .

أودعكن بهذه الكلمات القصيرة وأدعو أن يأتي هذا الملتقى وهذه الندوة بنتائج حسنة .

وصلى الله تعالى على نبيه الكريم وعلى آله وصحبه وبارك وسلم

☆☆☆

الأحرف السبعة للقرآن الكريم
(دراسة عميقة متزنة)

-(٣)-

بقلم : فضيلة الشيخ محمد تقي العثماني
ترجمة : الأخ محمد أسجد الندوي

☆ أسباب الترجيح لهذا التفسير :

كما ذكرنا أن الأرجح الأصوب لدينا في تعيين معنى الأحرف السبعة هو أنها تعنى الكيفيات السبع لاختلاف القراءة بالنسبة للأقوال الأخرى المذكورة في كتب الأحاديث والعلوم القرآنية ، ولهذا الترجيح والتصويب عديد من الأسباب والعلل ، نذكر بعضاً منها :

١- هذا التفسير للأحرف السبعة لا يؤدي إلى إثبات الفارق بين الحروف والقراءات والتمييز بينهما مع أن أقوال العلامة ابن جرير الطبري ، والإمام الطحاوي تؤدي إلى الاعتراف بالخلافين في تلاوة القرآن الكريم ، الأول : خلاف الحروف ، والثاني : خلاف القراءات ، فالخلاف في الحروف قد انتهى وزال ، أما الخلاف في القراءات فباق دائم حتى الآن ، ولأن دراسة جميع كتب الأحاديث تفيد أن ليس هناك أي حديث - وإن كان ضعيفاً - يدل على إثبات الخلافين (الحروف والقراءات) في تلاوة القرآن الكريم ، فإن الأحاديث تصرح بالخلاف في الحروف فحسب ، واستُخدِمت لبيان هذا الخلاف وذكره كلمة "القراءة" كثيراً ، فلو كانت القراءات شيئاً آخر مختلفاً عن الحروف ، لوجد التصريح به في حديث من الأحاديث حتماً ، فما السبب في أن أحاديث الخلاف في الحروف ، قد بلغت حد التواتر ،

ولكن لا يوجد أيّ حديث مستقل يدل على اختلاف القراءات مستقلاً ؟ فكيف يصح ويمكن الأخذ برأيه ، ثم إثبات الخلاف في قراءات كلمات القرآن الكريم سوى اختلاف الحروف ؟ وهذا تعقيد هائل ، ولكنه ينحلّ ويزول حينما نأخذ باستكشاف الإمام الرازي رحمه الله تعالى ، لأنه يؤول إلى إثبات الخلاف الواحد في كلمات القرآن الكريم ، وتوحيد الحروف والقراءات كلتيهما .

٢- كما أن الأخذ بقول العلامة ابن جرير الطبري رحمه الله ، يؤدي إلى الاعتراف بنسخ الأحرف الستة من السبعة أو تركها ، وإلى إثبات حرف واحد فقط ، وهو حرف قريش ، فعنده تندمج القراءات الموجودة في اختلاف أداء حرف قريش فقط ، ولكن هذا الرأي يحمل في طيّه عديداً من الإشكالات والتعقيدات ، وسنذكرها في الصفحات الآتية - إن شاء الله -، مع أن الأخذ بقول الشيخ الرازي رحمه الله ، ليس بمعرض لهذه الإشكالات والتعقيدات قطّ ، فإنه يصرح بأن الأحرف السبعة باقية ومنضبطة حتى الآن ، ولم يُترك ويُنسخ منها أحد من الأحرف أصلاً .

٣- الأحرف السبعة تصدق وتدل على مدلولاتها ومفاهيمها الصحيحة ، بدون أي تردد وتصنّع في الأخذ باستكشاف الإمام الرازي ، ولكن الأقوال الأخرى تؤدي إلى التأويل في معنى "الأحرف" أو في عدد "السبعة" ، والقول الذي آثرناه لنزيه وبعيد عن أيّ نوع من التأويل .

٤- وأكبر العلماء الذين قدّموا آراءهم في تعيين معنى الأحرف السبعة ، وأرفعهم مكانةً ، وإعلاهم رتبةً ، وأجلهم شأناً ، وأقربهم من العصر النبوي الذهبي المبارك ، هو إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله ، وهو يأخذ بالقول الذي آثرناه ورجحناه ، كما ذكره العلامة النيشافوري في تفسيره .

٥- مما لا شك فيه أن الإمام المحقق ابن الجزري رحمه الله ، والعلامة ابن قتيبة رحمه الله ، لمن أكبار أئمة القراءات وعلومها ، ومن أساطينها الذين يُرجع إليهم ، وكلاهما أخذا بهذا القول وصرحا به ، بل المحقق الجزري اختاره بعد التفكر والتعمق في القضية أكثر من ثلاثين عاماً .

☆ الشبه التي ترد على هذا القول ودفعها :

١- أول شبهة ترد على هذا القول هو أن جلّ وجوه الخلاف الموجود فيه يبتني على التقسيمات النحوية والصرفية مع أن هذه المصطلحات الفنية ، والتقسيمات الأصولية منعدمة غير موجودة ، حينما أخبر الرسول الكريم ﷺ بنزول القرآن الكريم على سبعة أحرف ، بل لم يكن يعرف آنذاك أكثر الناس فن الكتابة والقراءة أيضاً ، فنظراً إلى ذلك يصعب القول بان هذه الوجوه الخلافية تتعلق بالأحرف السبعة - ذكر الحافظ ابن حجر هذه الشبهة ، ثم ردها بقوله - : "ولا يلزم من ذلك توهين ما ذهب إليه بان قتيبة رحمه الله لاحتمال أن يكون الانحصار المذكور في ذلك وقع اتفاقاً ، وأنه اطلع عليه بالاستقراء وفي ذلك من الحكمة البالغة ما لا يخفى (١) .

ومعنى هذا الرد وفق ما علمنا ، هو أننا أيضاً نعرف ونعترف بأن هذه المصطلحات لم تكن فاشية في عصر الرسول الكريم ﷺ ، ولعله كان السبب في أن الرسول ﷺ لم يبين شرح الأحرف السبعة في ذلك العصر ، ولكن الحقيقة الباهرة التي لا يسعنا إنكارها أن المفاهيم التي تتعلق وتعنى بها هذه المصطلحات كانت موجودة في ذلك العصر أيضاً ، فأيّ داعٍ إلى العجب والاعتراض على أن الرسول الكريم ﷺ قصر الوجوه الخلافية في

(١) فتح الباري -لابن حجر : ج/٩ ، ص/٢٤ .

عدد السبعة نظراً إلى المفاهيم والمعاني ؟

ولكن الرسول الكريم ﷺ لم يفصل الأمر ولم يشرحه بجميع أجزائه لأنه لو فصل الوجوه الخلافية في الأحرف السبعة لكان أرفع من المستوى العقلي للعامة في ذاك العصر ، ولذا اقتنع الرسول لإيضاح اقتصار الوجوه الخلافية في السبعة فقط .

ثم لما شاعت هذه المصطلحات ، وعمت فاستكشف أرباب البصيرة ذوو المعرفة من العلماء ، وعبروا هذه الوجوه الخلافية بالألفاظ الاصطلاحية ، وكما ذكرنا فيما قبل أنه من الصعب العسير أن نحدد مراد الرسول ﷺ وغرضه الأصيل ، ولكن لما ثبت باستكشافات كثير من العلماء الراسخين اقتصار الوجوه الخلافية كلها في السبعة فقط ، فهذا الثبوت يُفضي إلى الإيقان بأن الرسول الكريم ﷺ أراد الوجوه الخلافية السبعة بالأحرف السبعة ، وإن كان التفصيل الذي عينه العلماء باستكشافاتهم أخيراً غير مؤيد حتمياً بالحديث ، ولكن انحصار الوجوه الخلافية في السبعة أمر حتمي مؤيد بالحديث ، لأنه لا مناص منه ، وليس هناك أيّ تفسير آخر يؤيده الحديث ، ويوافقه القياس والعقل والمنطق ، والله أعلم بالصواب .

٢- (ما هي التسهيلات بالأحرف السبعة) يمكن أن يبدى بعض الناس شبهتهم قائلين : إن القرآن الكريم أنزل على الأحرف السبعة ، لكي تسهل على الأمة تلاوته وقراءته ، فهذا التسهيل معقول وفق قول العلامة ابن جرير رحمه الله ، لأن العرب كانوا موزعين في شتى القبائل المختلفة ، وكان من الصعب العسير أن يتلو قبيلة واحدة القرآن الكريم على لغة قبيلة أخرى ، ولكن الإمام مالك رحمه الله ، والرازي ، وابن الجزري يربطون الأحرف السبعة بلغة قريش فقط ، إذن لا ينكشف السرّ عن الحاجة التي

دعت إلى إقرار الخلاف في القراءات حينما أنزل القرآن على اللغة الواحدة فحسب ؟

فمعتمد القائلين في هذه الشبهة على أن الرسول الكريم ﷺ دعا ربه بالتسهيل للأحرف السبعة نظراً إلى اختلاف اللغات في القبائل العربية ، ولذا فسر الحافظ ابن جرير الطبرى الأحرف السبعة باللغات العربية السبعة ، مع أنه غير مؤيد بأي حديث من أحاديث الرسول الكريم ﷺ ، ولكن على عكس ذلك أوضح الرسول بغاية من التصريح ما يهدفه حينما طلب هذا التسهيل من ربه جلّ وعلا ، فذكر الإمام الترمذي رحمه الله عن أبي بن كعب ﷺ بإسناد صحيح : "لقي رسول الله ﷺ جبريل عند أحجار المرا قال : فقال رسول الله ﷺ لجبريل : إني بُعثت إلى أمة أميين فيهم الشيخ الفاني ، والعجوز الكبيرة ، والغلام ، قال : فمرهم فليقرؤوا القرآن على سبعة أحرف" (١) ، و ورد في رواية أخرى للترمذي أن الرسول الكريم ﷺ ، قال لجبريل : "إني بعثت إلى أمة أميين منهم العجوز ، و الشيخ الكبير ، والغلام ، والجارية ، والذي لم يقرأ كتاباً قط"(٢)

فألفاظ الحديث تنصّ على أن الرسول الكريم ﷺ حينما طلب التسهيل في الأحرف السبعة لأمته اهتم بشأن أمته ،فإنه كان مبعوثاً إلى أمة أمية لا تعرف القراءة ، بل تجمع عدة أصناف من الناس ، فإن تعينت طريقة واحدة ، وتحددت لغة واحدة خاصة لتلاوة القرآن أدى ذلك إلى صعوبة وعنت وتقع الأمة بذلك في الضيق والتعب ، ولكن إذا كان المجال واسعاً لتلاوة القرآن في لغات عديدة بطرق كثيرة تيسرت تلاوته لجميع أفراد

(١) النشر في القراءات العشر : ج/١ ، ص/٢٠ .

(٢) جامع الترمذي : ج/٢ ، ص/١٣٨ .

الأمة ، فإنه إن لم يستطع أحد منهم تلاوته على طريق لتلاه على طريق آخر ، فتصح صلواته وجميع عبادات تلاوة القرآن الكريم ، كما نرى ونشاهد كثيراً بأن الشيوخ والعجائز والأميين الجاهلين كثيراً ما يتعودون لتأدية بعض الكلمات بطريق خاص ، فيعسر عليهم تأديتها بطريق آخر ، بل لا يستطيعون أدائها بتغيير الحركات البسيطة من الفتح والكسر ، ولذا طلب الرسول الكريم ﷺ تسهيلات في تلاوتها ، ومنها : أن أحداً إذا لم يقدر على النطق بصيغة المعروف ، فيتيسر له النطق بصيغة المجهول بدلاً من المعروف وفق القراءة الأخرى ، أو يؤدي أحدٌ آية القرآن بصيغة الجمع إذا لم يستطع تأديتها بصيغة المفرد ، أو حينما صعب عليه تلاوة القرآن بلهجة واحدة اختار أخرى وتلاه وفقها ، هكذا تيسر له تلاوة القرآن بسبعة طرق ، كما يدل عليه الحديث صريحاً .

ويظهر من هذا الحديث أن الرسول الكريم ﷺ حينما طلب هذه التسهيلات لم يقل : أن الأمة التي بُعث إليها تتكون من القبائل المختلفة اللغات واللهجات ، ولذا ينبغي أن يُسمح بتلاوة القرآن الكريم وفق هذه اللغات المختلفة العديدة ، بل الرسول صرف النظر عن الخلافات القبلية اللغوية ، وركز كثيراً على فوارق أعمار الأمة وأميتها .

وإن هذا كله لَمِن أوضح البراهين على أنه لم يكن تسهيل الأحرف السبعة لأجل الخلافات اللغوية القبلية ، بل العامل الرئيسي هو تهوين أمر تلاوة القرآن الكريم على جميع أفراد الأمة نظراً إلى أميتهم ، لكي لا يُحرموا تلاوة القرآن الكريم بل ينتفعوا ويتمتعوا بها ، ويدركوا لذتها وحلاوتها ، ويشعروا بجدواها ومعطياتها ، وتأثيرها على حياتهم ومجتمعاتهم على السواء .

٣- والشبهة الثالثة التي ترد على القول الذي اخترناه هو أن كيفيات الأحرف السبعة المذكورة للاختلاف في القراءات - سواء عينها الإمام مالك ، أو الرازي ، أو ابن قتيبة ، أو ابن الجزرى ، والقاضي ابن الطيب - إنما هي بمنزلة تخمين وتقدير وقياس فحسب ، ولذا وقع الخلاف

بين هؤلاء الخمسة أيضاً في تفصيلها وتعيينها وتحديدها ، فكيف يمكن الاستيثاق والاستثبات بأنها هي التي أرادها وعناها الرسول الكريم ﷺ ؟

والجواب عن هذه الشبهة أنه ليس هناك أي حديث أو أثر يوضح الأحرف السبعة ، ويشرحها بحيث لا يبقي في ذلك أيّ تعقيد وإغلاق ، ولذا لا يمكن انجزم برأي واحد ، حتى نقول بأنه هو الذي أراده الرسول ﷺ .

بل قد درسنا جميع الآراء والأقوال المتعلقة بالقضية دراسة عميقة ، ثم توصلنا في ضوء الحديث إلى أن القول الذي اخترناه أقرب إلى الصواب بالنسبة إلى قول آخر ، فإنه نزيه عن أيّ ضعف وزعزعة أساسية ، ولا يرد عليه أيّ اعتراض مبدئي محكم ، فإن استعراض جميع الروايات المتعلقة يؤدي إلى الإيقان بأن الأحرف السبعة في الحديث تعنى الكيفيات السبع لاختلاف القراءات ، و لكن تحديد هذه الكيفيات و تعيينها ، ليس له مجال - كما قدمنا الذكر - إلا الاستكشاف والاستقراء فقط ، أما استكشاف الرازي ، فإنه وإن كان جامعاً وشاملاً عندنا ، ولكن لا نجزم مراد الرسول الكريم ﷺ وغرضه بتحديد أيّ استكشاف قطّ .

مع أن هذا كله لا يقدح شيئاً في الإيقان والتسليم بأن الرسول أراد الكيفيات السبع لخلاف القراءات بالأحرف السبعة ، وليس عندنا أيّ طريق لإدراك تفاصيلها والغور في قعرها ، بل ولا نحتاج إلى هذا شيئاً .

٤- الشبهة الرابعة التي يمكن أن تنشأ من هذا القول هو أنه يراد بالأحرف السبعة الاختلاف في الألفاظ ، وطرق تأديتها ، فلا علاقة له بالمعاني مع أن حديثاً من أحاديث الرسول الكريم ﷺ يدل على أن الأحرف السبعة يُعنى بها المعاني السبعة ، فروى الإمام الطحاوي رحمه الله عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن الرسول الكريم ﷺ ، قال : "كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد على حرف واحد ، و نزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف زاجر وآمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال .. إلخ" (١) .

(١) مشكل الآثار -للطحاوي : ج/٤ ، ص/١٨٥ .

ولذا فسر بعض العلماء الأحرف السبعة بسبعة أنواع من المعاني ، والجواب عن الشبهة هو أن هذا الحديث الذي قدمه المعترض احتجاجاً برأيه ضعيف من حيث إسناده

فالإمام الطحاوي أشار إلى ضعف إسناده ، وقال : "رواه أبو سلمة عن ابن مسعود ﷺ مع أنه لم يلتق ابن مسعود ﷺ (١) ولو مرة ، أما بعض سلف الأمة وخيار الأئمة الذين يُنقل منهم مثل هذه الآراء ، فلا يهدفون إلى شرح الحديث" أنزل القرآن على سبعة أحرف ، بل هم يصرفون النظر عن قضية الأحرف السبعة التي نحن بصدد إيضاحها ، ويثبتون أن القرآن الكريم يشمل ويحتوي على هذا النوع من المحتويات والمواد (٢) ، ولكن الذين يقولون بإرادة المعاني السبعة ، وشرح الحديث : "أنزل القرآن على سبعة أحرف" بالمعاني السبعة فهم يتعرضون للوهم والمحال ، وليس لديهم أيّ برهان يساعدهم ويؤيدهم ، فإن كل من رُزق شيئاً من العقل والحكمة أدرك بالدراسة البسيطة لما ذكرنا من الروايات والأحاديث فيما سبق أن اختلاف الحروف السبعة لا يرتبط قطّ بالمعاني والمفاهيم والمواد ، فإنه اختلاف الألفاظ والكلمات فحسب ، ولذا لم يقل به أحد من أصحاب المعرفة والتحقيق والعلماء الراسخين الثاقبين ، بل ردوا عليه أشد الرد وأغلظ الإنكار (٣) .

[للبحث صلة]

(١) مشكل الآثار -للطحاوي : ج/٤ ، ص/١٨٥ .

(٢) وتفاصيل هذا الجواب في التفسير : "جامع البيان -لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري [م ٣١٠هـ] : ج/١ ، ص/٢٣-٢٤ .

(٣) لمن أراد التفصيل فلينظر إلى الإتقان : ج/١ ، ص/٤٩ ، النوع السادس عشر ، والنشر في القراءات العشر : ج/١ ، ص/٢٥ .

مدرسة قرآنية تواجه حضارة الغرب المادية

[٢/الأخيرة]

أ. د/عبد الحليم عويس
عضو مجلس الأمناء رابطة الأدب الإسلامي العالمية

لقد طغت أوربا الثانية - أو كادت - على أوربا الأولى ، وأسوأ ما في الأمر أن العالم الإسلامي يقتبس أكثر ما يقتبس من أوربا الثانية ، وتدفعه أوربا نفسها بعيداً عن طريق أوربا الأولى ، فتمنع عنه علمها الإبداعي الدقيق ، وتغدق على أبنائه أوراقاً ، تسمى الشهادات الجامعية !! .

أما إذا وجدت من أحدهم إصداراً على العلم الحقيقيّ ، وقدرةً على الإبداع ، فإنها تسعى إلى أن تحرم منه حضارته ، فتغريه بالمال والنساء ، حتى يقبل جِنسيَّتها ويخدم حضارتها ..!!

وهذا هو منهج المدنية الأوربية تجاه الآخرين ..

إنها تمنع خيرها الذي لا شك فيه ، وتنشر - بكل الوسائل - شرّها الذي لا خير فيه ..!!

إن النورسي يعترف بهذا الجانب الإيجابي - أوربا الأولى - فيقول : إن البشرية التي أخذت تصحو وتتيقظ بنتائج العلوم والفنون الحديثة ، أدركت كنه الإنسانية ، و ماهيتها ، و تيقنت أنه لا يمكنها أن تعيش هملاً بغير دين .

لقد تيقظ الإنسان في عصرنا هذا ، بفضل العلوم والفنون ، ونذر الحروب والأحداث المذهلة ، وشعر بقيمة جوهر الإنسانية ، و استعدادها

الجامع (١) .

وعند ما يتكلم النورسي - بإطلاق - عن المدنية ، فإنه يقصد المدنية بمعناها الصحيح (أوربا الأولى) ..

أي أوربا بمحاسنها وجوانبها النافعة للبشرية ، وليس ذنوبها وسيئاتها ، كما ظن الحمقى من الناس أن تلك السيئات محاسن فقلدوها ، وخربوا الديار ، وقدموا الدين رشوة للحصول على الدنيا ، فما حصلوا عليها ، ولا حصلوا على شئ (٢) !!

إن أوربا الثانية التي تكاد تقضي على أوربا الأولى تحمل في أحشائها جراثيم الظلم ... وجراثيم الدمار والغناء لنفسها وللبشرية ..

إنها تأسست على خمسة أسس سلبية مدمرة :

١- فنقطة استنادها : القوة بدل الحق ، وشأن القوة الاعتداء والتجاوز والتعرض ، ومن هذا تنشأ الخيانة .

٢- و هدفها و قصدها : منفعة خسيسة بدل الفضيلة ، وشأن المنفعة : التزاحم والتخاصم ، ومن هذا تنشأ الجناية .

٣- ودستورها في الحياة : الجدال والخصام بدل التعاون ، وشأن الخصام : التنازع والتدافع ، ومن هذا تنشأ السفالة .

٤- ورابطتها الأساس بين الناس : العنصرية التي تنمو على حساب غيرها ، وتتقوى بابتلاع الآخرين ، وشأن القومية السلبية والعنصرية : التصادم المريع ، وهو المشاهد ، ومن هذا ينشأ الدمار والهلاك .

٥- وخامستها : هي أن خدمتها الجذابة ، تشجيع الأهواء والنوازع

(١) النورسي : صيقل الإسلام ، كليات رسائل النور : ص/٤٩٤ ، نشر سوزلز ، ط/٣ ، ١٩٩٩م - مصر .

(٢) صيقل الإسلام : ص/٥٠١ .

وتذليل العقبات أمامهما ، وإشباع الشهوات والرغبات وشأن الأهواء والنوازع دائماً : مسخ الإنسان ، وتغيير سيرته ، فتتغير بدورها الإنسانية وتمسخ مسخاً معنوياً (١) .

ومن خلال هذه الأسس الخمسة المدمرة السلبية التي تقوم عليها المدنية الأوربية ينتهي النورسي إلى كشف نتائج المشروع الحضارى (العولمى) الغربي تجاه الإنسانية ، فيصل إلى النتائج نفسها التي انتهى إليها إقبال ، وهي إبادة أربعة أخماس البشرية ، ومن عجب أنها النتائج نفسها التي ينتهى إليها الكفر الاجتماعي والاقتصادي الحديث ، يقول النورسي :

إن معظم هؤلآء المدنيين ، لو قلبت باطنهم على ظاهرهم ، لرأيت في صورتهم سيرة القرد والثعلب والثعبان والدب والخنزير (٢) .

"ولأجل هذا فقد دفعت هذه المدنية الحاضرة ثمانين بالمائة من البشرية إلى أحضان الشقاء ، وأخرجت عشرة بالمائة منها إلى سعادة مموهة زائفة ، وظلت العشرة الباقية حيارى بين هؤلآء وأولئك ، علماً أن السعادة تكون سعادة عند ما تصبح عامة للكل أو للأكثرية ؛ بيد أن سعادة هذه المدنية هي لأقل القليل من الناس" (٣) .

وإذا قارنا هذا الكلام بما انتهى إليه الباحثان الألمانيان (هانس بيتر مارتين ، وهارالد شومان) مؤلفا كتاب : "فخّ العولمة" ، ورأينا كيف أن

(١) النورسي : الكلمات : ص/٨٥٥ ، طبع مصر سوزلز ، ط/٢ ، ١٤١٢هـ ، وانظر : النورسي : صيقل الإسلام : ص/٣٥٧ ، ط/٣ ، ١٩٩٩م مصر (سوزلز) .

(٢) بديع الزمان النورسي : الكلمات : ص/٨٥٥ ، كليات رسائل النور : ص/١ .

(٣) النورسي : صيقل الإسلام : ص/٣٥٧ ، والكلمات : ص/٨٥٦ ، ويقول النورسي وكأنه عالم اقتصادي يعاصر عولمة أمريكا الكذوب : "وتتجمع الأوسام التجارية بأيدي أقلية ظالمة" ، الكلمات : ص/٨٥٦ .

الباحثين ينتهيان إلى النتيجة نفسها ، مع أنهما مفكران اقتصاديان معاصران ينطلقان من رؤية ليبرالية (اقتصادية بحتة) لكنها موضوعية إنسانية !! إذا قارنا كلام إقبال والنورسي السابق ، بما انتهى إليه هذان الباحثان (مارتين ، وشومان) أدركنا كيف أن المفكرين المسلمين الكبيرين ينطلقان من رؤية قرآنية موضوعية تلتقي تماماً مع رؤية العقل السليم العلمية الموضوعية ، وأدركنا أيضاً كيف أن الله يمنح المفكرين المسلمين المخلصين إلهاماً يستشرف الغيب ، ويستقرئ المستقبل ، حتى ولولم تتوافر لديهم وسائل البحث العلمي ، وأدواته الكاملة ، ما دامت رؤيتهم قرآنية واعية .

لننظر ، ولنقارن ما يقوله (مارتين - وشومان) بما انتهى إليه النورسي وإقبال ، يقول مؤلفا كتاب : "فخ العولمة" المترجم إلى العربية في أكتوبر ١٩٩٨م (جمادي الآخرة ١٤١٩هـ) (١) :

"لم يعد [في ظل العولمة الحديثة] مجتمع الثلثين [الأثرياء - والثلث الفقير] الذي كان الأوربيون يخافون منه في الثمانينات هو الذي يقرر توزيع الثروة والمكانة الاجتماعية ، بل سيحددهما في المستقبل النموذج العالمي الجديد القائم على صيغة/٢٠٪ [يعملون] ، و ٨٠٪ [عاطلون عن العمل] ، لقد لاح في الأفق مجتمع الخمس ، هذا المجتمع الذي سيتعيَّن في ظله تهدئة خواطر العاطلين فيه عن العمل بما يسمونه : (Tittytainment) [الصدقة - أو - المعونة الاجتماعية]" .

ويقول المؤلفان أيضاً - : إن ٢٠٪ [عشرين بالمائة] من السكان

(١) ضمن سلسلة عالم المعرفة : فخّ العولمة : الاعتداءعلى الديموقراطية والرفاهية ، ع/٢٣٨ : ص/٢٨ ، نشر المجلس الوطني للثقافة - الكويت ، مراجعة وتقديم : د/رمزي زكي ، ترجمة د/عدنان عباس علي .

العاملين ستكفي في القرن القادم للحفاظ على نشاط الاقتصاد الدولي ، ولكن ماذا عن الآخرين ؟ ماذا عن الثمانين بالمائة العاطلين ، وإن كانوا يرغبون بالعمل ؟ إن الثمانين بالمائة من الطبقة السفلى ستواجه بالتأكيد ، كما يرى الكاتب الأمريكي جريمي ريفكن (Jeremy Rifkin) ، مؤلف كتاب (نهاية العمل) (مشاكل عظيمة) ، ويعزز رئيس مؤسسة سان هذا الرأى مستشهداً بمدير شركته "سكوت مك نيلى" (Scoot Mc Nealy) ، إذ يقول : إن المسألة ستكون في المستقبل ، هي : "إما أن تأكل أو تؤكل (to have Lunch or be Lunch)" (١) .

ولهذه النتيجة المؤسفة كل الأسف يرى (مارتين ، وشومان) أن نموذج الحضارة الذي ابتكره الغرب لم يعد صالحاً لبناء المستقبل (٢) ، [وكأنهما - كما نرى - يتكلمان بلغة إقبال والنورسي نفسها !!] ، وهما يفقدان أن الدعاية المفرطة لهذا النموذج كانت جزءاً من الحرب الباردة ، ولهذا فإن هذا النموذج الأوربى الحضاري يجب أن يوضع - بتعبيرهما - في متحف الأسلحة القديمة !! وتسود الآن - حسب اعتقاد المؤلفين - عملية تحول تاريخي بأبعاد عالمية واضحة ينعدم فيها - تحت ضغط النموذج الغربى - التقدم والرخاء ، ويسود التدهور الاقتصادي والتدمير البيئي والانحطاط الثقافي ، في ضوء حضارة التنميط (٣) ... حضارة أوربا وأمريكا ..!!

وأعتقد أنه من حقنا - بعد هذه النصوص التي أوردناها للمفكرين الألمانيين الاقتصاديين (مارتين - و - شومان) ، والتي عرفها العالم العربي والإسلامي ! (وعرف كثيراً من أمثالها من الدراسات الجادة حول تأثير الهيمنة العولمية) .

من حقنا - عند ما نجد تطابقها الكبير - في مجمل الرؤى والحقائق

(١) فخّ العولمة : ص/٢٦ .

(٢-٣) فخّ العولمة : ص/١٢ .

والنتائج - مع ما قوّمه ، وانتهى إليه إقبال والنورسيّ المفكران المسلمان ... منذ نصف قرن .. أي مع تفاوت الزمان ، وتفاوت الثقافة والمنطلقات والمكان ، من حقنا أن نستنتج عدداً من الحقائق الأساس ، على رأسها المصداقية الكاملة والأحقية المطلقة للمنظور القرآني ، الذي انطلق منه إقبال والنورسي ... فهو منظور (علم اليقين) ، وهو منظور (فراسة الإيمان الصحيح) ..

ومن هذه الحقائق - أيضاً - أصالة المفكرين المسلمين الكبيرين وسلامة منهجهما وموضوعيتهما وتجردهما للحق ... فليس كل من يتعامل مع (الحق) قادراً على فهم دلالاته واستخلاص دروسه ، وعلى التعبير عنه بطريقة علمية ، وتوضيح الطرق الموصلة إليه ، والآليات المحققة له ... لكن إقبال والنورسي نجحا في تقديم الكثير في هذا الطريق !! .

وأخيراً - فإنّ من الحقائق المستخلصة : التطابق - كما ترى في الآراء السابقة - بين معطيات الوحي الصحيح ، واستنتاجات العقل الصحيح ... عند ما تصفو المشارب ، ويستقيم المنهج ، وتتحد الغايات !! .

☆ المستقبل للإسلام وحضارته الإيمانية :

ومع ذلك فإن الصراع بين المدنية الغربية المادية ذات البنية الملحدة ، وبين حضارة الإسلام ذات البنية الإيمانية - لابدّ أن ينتهي بالنصر للإيمان والحق ، إذا كان مقدّراً في علم الله أن يبقي للبشرية بعض الوجود ، فلا وجود إلا بالروح والضمير والعقل والمادة معاً ، ولا إنسانية إلا بالوحي والعقل ... والنبوّة والعلم ... وبما أن المدنيّة الأوربية (والأمريكية) ، قد مزّقت هذا النسيج المتكامل ، واكتفت بالعقل والمادة ، فإنها لم تعد قادرةً على الاستمرار في القيادة مهما كانت كثافة السحب التي تحجب الحقائق ، والقيادة - بالتالي - لابد أن تعود للإسلام وحضارته ، ولابد أن يتقدم المسلمون

الصادقون الصالحون لإنقاذ سفينة الإنسانية ...

وفي رأى (إقبال) أن الحضارة الغربية قد أدّت دورها ، وشاخت وهرمت ، وأينعت كالفاكهة ، وحان قطافها ، وأن العالم القديم الذي حوله مقامر ، والغرب إلى حانة للفساد سينهار قريباً ، وأن الإنسانية سوف تتمخض عن عالم جديد ، ويعتقد (محمد إقبال) أن هذا العالم الجديد لا يُحْسِنَ تصميمة إلا من بنى للإنسانية البيت الحرام - بالأمس - في مكة مركز الأرض ، و ورث إبراهيم ومحمداً ﷺ في قيادة العالم وإرشاده ، ولذلك يهيب (محمد إقبال) بهذا المسلم النائم ، أن يقوم ويمسح النوم من عينيه ، فقد ظهر الفساد في البر والبحر ، وعاث الأوربيون في الأرض ، وأفسدوا فيها بعد إصلاحها ، وخربوا العالم وملؤوه ظلماً وظلمات ، وشروراً وويلات ، وليست هذه الأرض إلا بيتاً من بيوت الله ، جعلها مسجدا وطهورا ، وأذن أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، ولكن الأوربيين حولوها إلى خمارة ، وبيت فسق ودعارة ، ومكان نهب وإغارة ، وقد آن لباني البيت الحرام ، وحامل رسالة الإسلام أن يقوم ويصلح ما أفسده الأوربيون ، ويعيد هذا البيت إلى قواعد إبراهيم ومحمد ﷺ ، ويبني العالم من جديد (١) .

أما النورسي فيحدثنا الحديث نفسه تقريباً ... ويقول :

"إنه بطغيان دنوب المدنية على محاسنها ، ورجحان كفة سيئاتها على حسناتها ، تلقت البشرية صفعتين قويتين بحربين عالميتين ، فأتتا على تلك المدنية الآثمة ، وقاءت دماءً لطخت وجه الأرض برمتها ، وسوف تتغلب

(١) أبو الحسن الندوي - روائع إقبال : ص/١٣٠-١٣١ بتصرف ، (وهذا لا يعني الاستغناء عن إبداعات العقل الأوربي التي أنجزتها أوربا النافعة - الأولى - مع تسخيرها لخدمة الحق ، ونشر الإيمان والرحمة والتسامح) .

بإذن الله محاسن المدنية بفضل قوة الإسلام التي ستسود في المستقبل ، و تطهّر وجه الأرض من الأدناس ، و تحقق أيضاً سلاماً عاماً للبشرية قاطبة" ..

نعم ... لما كانت مدنية أوربا لم تتأسس على الفضيلة والهدى ، بل على الهوس والهوى ، وعلى الحسد والتحكم ، تغلبت سيئات هذه المدنية على حسناتها إلى الآن ، وأصبحت كشجرة منخورة بديدان المنظمات الثورية الإرهابية ، وهذا دليل قوي ومؤشر على قرب انهيارها ، وسبب مهم لحاجة العالم إلى مدنية آسيا (الإسلامية) التي ستكون لها الغلبة عن قريب (١) !!

إنه استشراف ورؤية مستقبلية أخرى ... يلتقي فيها إقبال والنورسي ؛ مع ما يقوله مؤلفا كتاب : (فخّ العولمة) !!

وقد ظهرت الصحوة الإسلامية في العالم بعد عديد من النكبات والهزائم والاختبارات ، وقد كادت الصحوة تمضى إلى غايتها ... لكن الأشواك توضع في طريقها ، ويدفع إلى الوقوف ضدها كثير من المنافقين المسلمين ... وبدلاً من أن يرشدوها للصواب يدفعها بعضهم إلى الخطأ ... ويبنون على الخطأ الفردي ، والتطرف الشخصى سياسة مواجهة عامة للظاهرة ... ومع ذلك فإنهم - كما أشار النورسي - لم يكسبوا الدنيا حين باعوا الآخرة ، لم يرض عنهم الأعداء حين باعوا الإخوان والأصدقاء .

وفي كل يوم يصفعهم الأعداء - بأمر الله - صفعات قوية من الذلة والخيانة ، ونكث العهود ... تحقيقاً لقوانين القرآن التي لا تتخلف ؛ قال تعالى : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى * حتى تتبع ملتهم ﴾ (٢) .

(١) صيقل الإسلام : بديع الزمان النورسي : ص/٥٠١ .

(٢) سورة البقرة ، الآية/١٢٠ .

وقال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين تولّوا قوماً * غضب الله عليهم * ما هم منكم ولا منهم * ويحلفون على الكذب وهم يعلمون * أعدّ الله لهم عذاباً شديداً * إنهم ساء ما كانوا يعملون ﴾ (١) .

لكنها مرحلة من مراحل الهوان سوف تنتهي بإذن الله ، وسوف تعقبها إفاقة إنسانية عامة تبحث عن الحق ، وتسعى إليه بعد أن يصل الأمر إلى مداه !!

وإن لدى الإسلام مؤهلات النصر والتفوق والسيادة ...

لديه الحقيقة الإسلامية أستاذ جميع الكمالات ...

ولديه حاجة البشرية الملحة إلى هذا الأستاذ الحقيقي ، والقائد الحقيقي للمدنيّة الصحيحة اللائقة بالإنسان .

ولديه الحرية الممزوجة بالشرعية ، التي تمزق الاستبداد ، وتقضي على الفوضي اللاإنسانية .

ولديه الشهامة الإيمانية الممزوجة بالرحمة والصراحة .

ولديه العزّة الإسلامية التي تعلن إعلاء كلمة الله .. بالوسائل المادية والمعنوية معاً (٢) .

وكما صدقت توقعات النورسي في الماضي القريب ، فسوف تصدق - بإذن الله - توقعاته بانتصار الإسلام في المستقبل القريب ، والبعيد أيضاً ..!!

﴿ والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) سورة المجادلة ، الآية : ١٤-١٥ .

(٢) النورسي بتصرف من الخطبة الشامية ، صيقل الإسلام : ص/٤٩٩-٥٠٠ .

الدعوة الإسلامية :

انطلاق الدعوة العالمية

بقلم : سعادة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي
الرئيس العام لندوة العلماء
ترجمة من الأردية : بقلم : الأستاذ آفتاب عالم الندوي

لقد كانت طبيعة هذه الدعوة تقتضي أن يختبر أولئك الدعاة الذين حملوا لواء هذه الدعوة أولاً في عزمهم وثباتهم على المبدء ، فلذلك واجه دعاة هذه الدعوة العالمية الأولون معاناة شديدة ، وأوضاعاً قاسيةً ثلاث عشرة سنة في بلد مكة ، وكانت هذه المرحلة لابد من أن تجتاز بها أمة لها أهداف سامية ، وعليها مسؤلية عظيمة تجاه النوع البشري ، ولما تم الاختبار لدعاتها الأولين ، وفازوا بالدرجة الأولى ، انتخب لهم للقيام بالعمل الدعوي على أوسع نطاق ميدان كان أوسع وأرحب وأفسح وأكثر حرية لممارسة الأعمال الدعوية من الأول ، وكان هذا الميدان هو أرض المدينة المنورة التي اختارها الله كمنطلق عظيم للدعوة الإسلامية ، ولكن مكة كان لها قدم وأولية بكونها أول مركز لدعوة الإسلام ، ومنذ ذلك الحين قررت مكة مركزاً للعبادة لأهل الحق ، والمدينة مركز تطبيق أحكام الإسلام وتنفيذها ، وصوغ قوانين الإسلام صياغة تشريعية ، ومن هنالك كانت لهذين البلدين مكانة محترمة تختلف في صورتها الظاهرة ، ولكن تشترك في غايتها وهدفها .

وبعد الهجرة إلى المدينة المنورة خرج المسلمون من حياة القهر والاضطهاد والظلم التي عاشوها بين أظر قريش في مكة ، فوجدوا في المدينة جواً صالحاً وحياةً هادئةً آمنةً ، واستطاعوا أن يحافظوا على كيانهم وهويتهم الدينية ، فاغتنموا هذه الفرصة المتاحة للقيام بالواجب الذي نيط

بهم ، والمسئولية العظيمة التي ألقيت على عواتقهم منذ أن انضموا إلى ركب الإسلام ، فنهضوا لنشر الإسلام في جزيرة العرب كلها ، ولكن مع ذلك لم تنحصر مجهوداتهم الدعوية على جزيرة العرب وجدها بل كلما ساعدتهم الظروف للخروج من بيئة قاصرة محدودة طاروا إلى بلدان نائية لتبليغ دعوة الإسلام الخالدة إلى من كانوا يحكمون البلاد المجاورة لجزيرة العرب ، وانصرفت عنايتهم إلى الحكام والملوك ، وقادة البلاد ، ورجال الحكم لأنهم ما كانوا وحيدين منفردين بل كانت معهم شعوب وقبائل تعيش في ظل حكوماتهم ، وكانوا في الحقيقة عقبة كأداء ، وذلك لأن هؤلاء لا يمنحون الشعوب حرية التفكير في الحياة وفي التقدم والازدهار .

وهذا هو باعث حقيقي دعوي حمل النبي الكريم ﷺ على إرسال الرسائل الدعوية إلى أمراء الإمبراطوريات ، كما أرسل إلى أمراء الإمبراطورية الساسانية التي كانت في الجانب الشرقي من المدينة ، وقد دعاهم الرسول الكريم ﷺ في تلك الرسائل إلى عبادة الله وحده ، ولفت أنظارهم إلى جانب مهم أساسيّ ، وهو إصلاح النفوس ، وتثقيف الإنسان ، وتهذيب أخلاقهم ، وبعث كذلك إلى ملوك اليمن والحبشة والروم وإلى جميع مناطق العالم التي يمكن إليها الوصول لدعوة الحق رسائله العالمية الخالدة ، وقام بأداء مسئوليته الدعوية إلى جميع الأمم والشعوب خير قيام ، وأتمها أحسن إتمام ، ثم ألقيت هذه المسئولية العظيمة على كواهل أمته التي كتب الله لها أن تحمل هذه المسئولية وتؤديها جيلاً بعد جيل .

إن كل من درس تاريخ الدعوة الإسلامية وأمعن فيه ولاحظ رحلتها الطويلة على مدار الأيام ليعلم أن خلفاء الرسول الكريم ﷺ هم الذين سبقوا إلى القيام بتلك الدعوة والمهمة التي ألقيت بعد محمد ﷺ على أمته خير قيام ، وبلغوا دعوة عبادة الله وحده ، والامتثال لأوامر الله وأحكامه إلى

جميع شعوب العالم وإلى المناطق التي كان فيها ناسٌ لهم بصيرة وقوة تفكير ، ولكن قبل ذلك فإن رسالة النبي الكريم ﷺ الدعوية ، قد تمت وتحققت في آخر حياته في مدة عشر سنوات في المدينة المنورة ، وكانت رسالة الإسلام في هذه المدة القليلة طار صيتها وخفقت رايتها في سائر أرجاء جزيرة العرب مترفرفة خفاقة ، ولكن مع هذا الذيوع الكامل الواسع للإسلام لم يخضع بعض أمراء العرب للإسلام إنما كانوا في صراع مع الإسلام ، فإنهم ناشبوا الحرب وجندوا طاقاتهم ومواهبهم في سبيل خضد شوكة الإسلام ، ولكن الرسول الكريم ﷺ أخضعهم جميعاً للإسلام بقوة المسلمين المجاهدين المغامرين الذين كانت الجبال الراسيات تتزعزع بهم ، فدان أولئك الأمراء المعارضون للدعوة الإسلامية بقوة الإسلام الباهرة واستسلموا لها ، وقد سبق أن رسول الله ﷺ لم تكن دعوته لجزيرة العرب وحدها ، بل كانت عالمية خالدة ، ولذلك فإن جهوده الدعوية كانت أوسع نطاقاً وأكثر بعداً وعمقاً تريد أن تخترق جزيرة العرب ، وتخرج من نطاقها الضيق إلى عالم أوسع ، قد تحقق هذا الأمر عملياً في حياة الرسول الكريم ﷺ في أتم صورة وأكملها وأجملها ، حتى لم تعد منطقة من مناطق العالم إلا وقد أرسل إليها الإسلام أشعتها اللامعة التي تنورت بها ، وامتلأت نوراً وهداية .

هذه حقيقة صارخة في وجوه الأعداء الذين يتهمون الإسلام بأنه انتشر بالسيف والقوة ، إن رسول الإسلام لم يأذن ولا أباح يوماً باستخدام القوة والحرب إلا إذا أخفقت كل المحاولات والتدابير الأمنية مع الأعداء والمخاصمين ، ومن هنالك تدل حياته الدعوية على أنه ﷺ لم يستخدم قوة إلا وقد قام بمراعاة الأصول والضوابط التي أمره الله باتخاذها ، والتقيد بها في الحروب مع أعداء الإسلام ، ونتيجة لالتزامه وتقيده بالضوابط الإسلامية في

الحروب نجد أن الحروب التي جرت في عصره وخاضها هو بنفسه لم يكن فيها عدد القتلى بكثير إنما يتضاءل ذلك العدد أمام عدد القتلى الذين ذهبوا ضحية في الحروب غير الإسلامية .

☆ لا مجال للإكراه في سبيل نشر دعوة الإسلام :

لا شك أن الرسول الكريم ﷺ لم يسمح لأحد من أتباعه ودعاة الإسلام بأن يتخذوا طريق الإجبار في دعوتهم ، وأن يكرهوا من لا يخضع ، ولا يدين بالإسلام على قبوله إنما آذن لمناهضة من يضع العراقيل في سبيل نشر دعوة الحق ، ويسد منافذه في وجهه ، وهذا الاذن أيضاً لا يحمل العمومية بل هناك التزامات ، وقيود لا يمكن لداع أن يتخطاها ويجتازها إلا إذا كان الوضع في غاية من الخطورة ، ولا يكون سبيل إلى حل القضية من غير أن تستخدم القوة ، إذا وُجد هذا فجاز استعمالها ، وقد سمي هذا في مصطلح الشرع بالجهاد ، وقد فرض الجهاد ، ولكن مع هذه الفرضية أمر المسلمون بأن لا توجد فيه منفعة شخصية أو تدبّ فيه أهواء النفس الدنيئة ، ذلك لأن المنافع الشخصية والأهواء ، إذا وجدت سبيلاً إليه فقد روحه الحقيقية ، ولا تحصل به تلك المنفعة التي يريدها الإسلام منه ، فقد كان الجهاد مشروعاً امتثالاً لأمر الله ، وتحقيقاً وتنفيذاً لقوانينه في المجتمعات البشرية ، أو دفاعاً عن نفسه ، وقد عمل خلفاء الرسول الكريم ﷺ بهذه المبادئ الإسلامية بعد ما التحق بالرفيق الأعلى ، ونتيجة لذلك دانت وخضعت بلاد إيران والروم ومصر والسودان والحبشة ، والمناطق الأخرى لدعوة الحق ، ورسالة الإسلام القوية ، ولما انكشف الغطاء عن أعين الناس في الإسلام ، وأتيحت لهم الفرصة لكي يدنوا من الإسلام ، ويروه ودعوته إلى التوحيد الخالص النقي عملياً ، فانشرحت صدورهم للإسلام و اطمأنت نفوسهم ، ولانت قلوبهم ، فاجتمعوا تحت راية الإسلام مطمئنين منشرحي الصدور ، ومرتاحي البال .

وبدأ تيار قوي ذو تأثير عميق في النفوس والقلوب فأحدث انقلاباً عظيماً في حياة من كانوا بعيدين عن تعاليم الإسلام ، فتقربوا إليه ، حتى لم تمض على وفاة الرسول الكريم ﷺ خمسون سنة كاملة ، ولكن جميع مناطق العالم المتمدنة قد خضعت للدين الإسلامي وعقيدته النقية ، ولو أن المسلمين ربما اضطروا إلى الحروب والمعارك مع أعداء الإسلام في سبيل نشر الإسلام ، ولكن هذه الحروب كلها لم تكن ليفرض المسلمون سيطرتهم ونفوذهم على البلاد ، وليظهروا قوتهم وشوكتهم ، إنها كانت مجردة من هذه العواطف والنزعات ، إن عواطفهم كانت صادقة بريئة من الأهواء ، ما كانوا يريدون بهذه الحروب إلا أن يدفعوا ويزيلوا العقبات التي تمنع مسيرة الدعوة الإسلامية من أن تتقدم ، وتزدهر روحها في نفوس الناس ، ولم يقاتل المسلمون أبداً تحقيقاً لمطامعهم ، إنما كان قتالهم دائماً مع الذين يناهضون للإسلام أو مع من يعتدون على المسلمين ، ويصبّون عليهم الظلم والعدوان ، فكانت الحروب الإسلامية في الحقيقة للذب عن الإسلام و عن أهل الإسلام ، و للحفاظ على هويتهم الإسلامية و كيانهم الديني ، وبذلك أمر المسلمون في القرآن الكريم ، فيقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله * والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان * الذين يقولون : ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها * واجعل لنا من لدنك ولياً * واجعل لنا من لدنك نصيراً ﴾ [سورة النساء/٧٥] .

ما كانت وراء هذه الجهود التي بذلها المسلمون غاية إلا أن يبلغ ذلك المنهج للحياة الذي بعثه الله مع نبيه ، وأحكام الشريعة التي جاءت لهداية البشرية إلى سائر الناس ، وما كان هذا إلا لتتم الحجة ، وتتمكن الأمة الوسط من القيام بالمسئولية الملقاة على عاتقها ، وأن تشهد يوم القيامة بأن جميع الأمم والشعوب ، قد تمت عليهم الحجة ، ولم يبق أحد من الناس كائناً

من كان إلا وقد دُعي ذلك الإنسان إلى دين الحق ، وهيئت له وسائل تساعده على معرفة حقيقة الدين وفهمه فهماً دقيقاً شاملاً ، ولا مساغ لأحد أن يقول ما أتيحت لي الفرصة أن أتعرف على دين الحق ، وأدرك تعاليمه ، وذلك لأن دعاة هذه الأمة الأخيرة قد اتخذوا لنشر هذا الدين الأخير في جميع العالم كل وسائل وطرق سواء كان ذلك وسيلة التعليم والتربية أم كانت وسيلة النصيحة والوعظ والإرشاد ، وقدم أولئك الهداة والدعاة أسوة حسنة وحياة مثالية حية لمن بعدهم ، فإنهم بذلك أنشأوا مناخاً دينياً كان فيه الوقوف على حقيقة الدين وروحه أمراً يسيراً ليس فيه حاجة إلى التعمق والإمعان الكثير ، بل كل شئ في حياتهم كان كأنه كتاب مفتوح يستطيع أن يقرأه كل من له عقل سليم ، ولم يكتف دعاة الإسلام الأولون الذين تربوا على يدي إمام وقائد هذه الأمة تربية دينية وخلقية ، تربية يندر نظيرها في تاريخ الدعاة إلى الإصلاح والتربية ، لم يكتفوا بذلك بل إن هؤلاء العصاميين وعباقرة الدهر قاتلوا مع الذين كانوا يصدون الناس عن الإسلام ، وكان وجودهم عقبة كأداء في سبيل نشر دعوة الحق ، وكان هذا القتال هادفاً إلى إيقاف سبيل المناهضين الذين يزرعون الأشواك في سبيل أهل الحق ، ويوقعونهم في أنواع من المشكلات ، وكذلك هادفاً إلى إنشاء جو مناسب هادئ لاستماع قول الحق والجلوس إليه ، والتفكير فيه تفكيراً هادئاً يتجه بحياة الناس إلى نتيجة بناءة هادفة ، ألا وهي الدخول في السلم كافة ، فقد قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ! ادخلو في السلم كافة * ولا تتبعوا خُطُوات الشيطان * إنه لكم عدو مبين ﴾ .

☆☆☆

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم

☆☆☆

مرض القلوب .. وشفاؤها

د/محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير لمجلة : "البحوث الإسلامية" - الرياض

هل للقلوب مرض ، غير ما هو معهود ، وهو المرض الماديّ المحسوس ، الذي اهتمت به الأمم ، وطوّرته بالبحث ، ومواصلة العلم ، وبالعمليات الجراحية ، فكان لذلك عناية فائقة ، توصل المختصون معها إلى أساليب لم تعرف من قبل .. أدوية وعقاقير ، وزراعة أعضاء مستبدلة بغيرها ، وجراحة متقدّمة ومتطوّرة ، فتكوّن في الأمم المتقدمة علمياً مراكز لأمراض القلب ، كما حصل في المملكة ، حيث أوجد مركز الأمير سلطان للقلب ، بالرياض ، المتطوّر بأجهزته واستعداداته ، وعملياته المتنوّعة ، واستبدال شرايين بغيرها ، كما تكون اهتمام بزراعة القلوب ، مثلما جاء الاهتمام بزراعة الأعضاء المختلفة : الكبد ، والرئة ، والأصابع ، والأعصاب وغيرها .

هذا الجهد الطبي ، من أجل علاج القلب مادياً .. ولكن هناك مرضاً آخر خفي على الأطباء الاهتمام به ، إلا وهو مرض القلوب دينياً وعقدياً ..

وهذا المرض فساد يحصل في القلب ، يحول بين صاحبه ، والانقيادات السليمة التي أرادها الله لعباده ، حيث صاحب القلب المريض، قد ران عليه ما كان يعمله صاحبه ، من أمور بعيدة عن الحق ، لتجعله يرى الأمر الحسن سيئاً ، والأمر السيئي حسناً ، كما قال سبحانه : ﴿ كلاّ ! بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ [المطففين/١٤] .

قال ابن تيمية رحمه الله : مرض القلوب هو نوع فساد يحصل له ، يفسد به تصوّره وإرادته ، فتصوّره بالشبهات ، التي تعرض له ، حتى لا يرى الحق ، أو يراه على خلاف ما هو عليه ، وإرادته بحيث يبغض الحق النافع ، ويحب الباطل الضار .

فلهذا يفسر المرض : تارة بالشك والرّيب ، كما فسره مجاهد وقتادة ، في قوله تعالى : ﴿في قلوبهم مرض﴾ [البقرة/١٠] ، أي شك ، وتارة يفسر بشهوة الزنا ، كما فسر به قوله : ﴿فيطمع الذي في قلبه مرض﴾ [الأحزاب/٢٧] .

فالآية الأولى : جاءت في معرض الحديث عن المكذبين بما جاء به رسول الله ﷺ عن ربّه من الرسالة والأمر بعبادة الله وحده ، وقد جاءت عدة آيات في كتاب الله ، تفضح المنافقين في ستر نفاقهم ، وإظهار الإتباع للمؤمنين ، باسم المرض .. فكان الشك مرضاً غطىّ قلوبهم عن الانصياع للحق .

والآية الثانية : جاءت في معرض الأمر لنساء النبي الكريم ﷺ ، ونساء المؤمنين بالتبعية ، بالتستر وعدم إظهار الزّنية ، والحجاب وعدم الخضوع بالقول ، حتى لا يطمع من في قلبه مرض ، أن يهم بالمعصية كالزنا ، لأن الشيطان يسوّل للإنسان ، حتى يوقعه في المعصية ، وأمر الله نساء النبي ، ونساء المؤمنين ، بالبعد عن مداخل الرّيبة ، حتى لا يكون لمريض القلب ، مجال للدخول ، في أي طريق يقرّب من المعصية ، حماية للنفوس المؤمنة من الشرّ ، وبعداً عن المداخل إليه .

وقد ورد المرض في كتاب الله الكريم في أربعة وعشرين موضعاً ، بثلاث دلالات : الأولى : المرض الحسي الذي يصيب البدن ، والذي بموجبه خفف الله العبادات على صاحبه رأفة بحاله ، وفضلاً وإحساناً من الله سبحانه بعباده ، الثانية : مرض ارتكاب المعصية من زنا وغيره ، والثالثة :

مرض الشك في شرع الله بالمعاندة مع المعرفة ، أو بالنفاق ورفض الحق ، وموالاة أعداء الله على المسلمين .

وبعكس ذلك مرض البدن الذي هو خلاف صحته وسلامته ، وهو فساد يكون في البدن ، أو في القلب ، يؤلم ويتفجر منه المريض ، ويضعف معه الجسم عن الحركة ، وينتج عنه أمور ظاهرة ، أو عاهات مستديمة كالعرج والعمى ، وغير ذلك من أمور ماديّة بارزة للعيان ، أو محسوسة كالأمراض الداخلية ، في القلب والجوف ، والأمعاء والمعدة ، وغيرها مما يحسّ ولا يرى ، لخفائه في الجوف .

وهذا المرض المحسوس ، يعالج بالأدوية المادية المحسوسة ، التي يدركها الأطباء ، وبالوضعات التي علمت بالتجربة ، أما مرض القلوب فهو لا يرى ، ولا تبرز علامات تميزه ، ولكنه يعرف بآثاره المنعكسة على الدين ، وإضلاله بما ينطوى عليه الإيمان ، الذي محلّه القلب ..

ولذا نرى علماء المسلمين يهتمون بهذا المرض ، حيث ألّف الخرائطي فيه كتاباً سماه : كتاب اعتلال القلوب أي مرضها : وأراد به مرضها بالشهوة ، لأن المريض يؤذيه ما لا يؤذى الصحيح ، فيضره يسير الحرّ والبرد والعمل ونحو ذلك ، من الأمور التي لا يقوى عليها لضعفه بالمرض .

كما ألف شيخ الإسلام ابن تيمية رسالة صغيرة مفيدة ، سماها : مرض القلوب وشفاؤها .. عالج فيها هذا المرض ، وفنّده ، ووصف الدواء المفيد ، من صيدلية الإسلام : كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ ، حيث ميز فيها بين مرض القلب ، ومرض البدن .

فمرض البدن ماديّ ، إما نقص الغذاء ، فيحتاج إلى غذاء ، وإما بسبب زيادته ، فيحتاج إلى استفراغ ، أو بشئ طارئ كالحوادث التي ينتج عنها كسور وجراحات ورضوض ، فهذه تعالج بالأسباب المادية المعهودة

عند الناس نتيجة التجربة والوصف ، الذي عهده الناس في حياتهم ، لأن المرض في الجملة يضعف المريض ، مما يدعوه إلى التماس العلاجات المادية طلباً للشفاء .

أما مرض القلب ، فيقول عنه : بأنه ألمٌ يحصل في القلب كالغيظ من عدوّ استولى عليك ..فإن ذلك يؤلم القلب ، كما قال تعالى : ﴿ ويشف صدور قوم مؤمنين * ويذهب غيظ قلوبهم ﴾ [التوبة ١٤-١٥] ، والشفاء لا يكون إلا من ألم حصل في القلب .

لكن هذا المرض ، الذي اغتاظت منه قلوب المؤمنين بالله ، هو ألم محمود ، لأنه ألم من عدوّ ، يتربّص بالإسلام والمسلمين الدوائر ، فجعل الله دائرة السوء عليهم ، وشفى الله قلوب الفئة المؤمنة ، بالانتصار ، وذلك أن قريشاً كانت تكيد لرسول الله ﷺ وأصحابه ، وقد عقد معهم رسول الله ﷺ عهداً ، فدخلت خزاعة في حلف رسول الله ، ودخلت بنو بكر في حلف قريش ، عند ما وثبت بنو بكر على خزاعة ليلاً بماء يقال له الوتير قريب من مكة ، فأعانت قريش ، وقالوا : نحن في الليل ، ولا يعلم بنا محمد ، ولا يرانا أحد ، فذهب عمرو بن سالم من خزاعة ، إلى رسول الله ﷺ في المدينة مستنجداً، وألقى أمامه قصيدة بهذا الخصوص ، فقال له عليه الصلاة والسلام : نصرت يا عمرو بن سالم ، يقول ابن سعدى في تفسيره [٣/٢٠٦-٢٠٧] :

فإن في قلوبهم من الحنق والغيظ على المشركين ما يكون قتالهم وقتلهم شفاء لما في قلوب المؤمنين من الغم والهمّ ، إذ يرون هؤلاء الأعداء محاربين لله ولرسوله ، ساعين في إطفاء نور الله ، وزوالاً للغيظ الذي في قلوبهم ، وهذا يدل على محبة الله للمؤمنين ، واعتنائه بأحوالهم ، حتى إنه جعل من جملة المقاصد الشرعية ، شفاء ما في صدورهم ، وذهاب غيظهم ، أ.هـ

ولو كان هذا المرض ، مرض معصية لما ذهب وشفي صاحبه بهذه الحالة ، لأن مريض القلب ، مرض معصية تتنافى مع تعاليم الإسلام ،

يبقى في القلب ، ولا يذهبه حصول النتيجة ، بل يريد المزيد ، مثل :

☆ مرض القلب بالنفاق . ☆ ومرض القلب بالحسد المذموم .

☆ مرض القلب بالشبهات والشهوات .

وقد جعل الله القلب المريض فاسداً ، ولا يصلحه إلا ما يجتث هذا الفساد ..

فالظلم نتيجة القلب الفاسد ، وهو أنواع ، ولا يجتث كل نوع من القلب إلا ما يزيل ذلك الفساد ..

فإذا ظلم المرء نفسه ، بالشرك ، أو بكثرة المعاصي ، وتتبع السبل المؤدية إلى ذلك .. فإن شفاء القلب من ذلك نقيض ذلك العمل ، فالشرك بالتوبة إلى الله منه ، والرجوع إلى طاعة الله وطاعة رسوله .. حتى يرتاح القلب ، ويطمئن بما يريحه ، بعد أن كان جاذباً لصاحبه إلى طريق الهلاك .. فعودته إلى الحقّ نجاة من تلك الهلكة ..

وظلم الآخرين ، بالاعتداء عليهم بالقول والكذب والبهتان ، أو الغيبة والنميمة ، أو بأخذ حقوقهم والاعتداء على ممتلكاتهم ، أو التطاول عليهم باليد ضرباً أو قتلاً ، وشفاء القلب من ذلك مراجعة القلب وتهذيب طباعه ، حتى يرعوي عن غيّه ، فبالنسبة للكذب والبهتان ، بالاستسماح ، وطلب الصفح عما بدر تجاههم ، وبالنسبة للغيبة والنميمة ، فأن يذكرهم في المكان الذي اغتابهم فيه ، بالخير ويذكر محامدهم وينفى ما قيل فيهم ، وبالنسبة للحقوق والإعتداء ، بإعادة ما أخذ منهم ، وطلبهم القصاص فيما اعتدى به عليهم ، مع الاعتذار ، فإذا أسلمهم نفسه ، فإن اقتصّوا فبحقهم تشفى صدورهم أيضاً ، وإن عرفوا بالطيب وسمحوا ، فبأجرهم عند الله ، وهو يشفى صدره بزوال ما خامره من مرض ، زال بطواعية وراحة نفس ، بالتوبة الصادقة ، وحسن النية .

☆ و مرض القلب بالنفاق ، من أشد الأمراض التي تعتري القلوب ،

وقد تقارن بأشد الأمراض التي تصيب البدن ، حيث يحتاج إلى مواصلة العلاج ، ومصابرة النفس على ذلك .. لأن جزاء المنافقين الذين لم يتوبوا من عملهم ، ويتراجعوا عن نفاقهم ، الدرك الأسفل من النار .

وهذاالعلاج يسير على من يسره الله عليه ، وذلك بالتوبة إلى الله بشروطها الثلاثة : والعزم على عدم العودة إلى هذا العمل النفاقيّ ، وهو إظهار ما يناقض الأمر المبطن ، والموالاة في الله ، والمعاداة في الله .

و قد يقال على أن حالة القلب عند المنافقين و المشركين على أمرين : الأول : الموت ، والثاني : المرض ، والمرض أقل مرتبة من الموت ، حيث يرجا شفاؤه ، لأن القلب يميته الجهل المطلق ، والعمى عن الحق المتعمد ، ويمرض بجهل طارئ .

يقول ابن تيمية رحمه الله : إن حياة القلب وموته ، ومرضه وشفاءه ، أعظم من حياة البدن وموته ، ومرضه وشفائه ، فلهذا مرض القلب إذا ورد عليه شبهة أو شهوة قوّت مرضه ، وإن حصلت له حكمة وموعظة ، كانت من أسباب صلاحه وشفائه ، قال تعالى : ﴿ ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض ﴾ [سورة الحج/٥٣] ، لأن ذلك أورث شبهة عندهم .. والقاسية قلوبهم ليبسها ، فأولئك قلوبهم ضعيفة بالمرض ، فصار ما ألقى الشيطان فتنة لهم ، و هؤلاء كانت قلوبهم قاسية من الإيمان ، فصار فتنة لهم [١٠/٩٤- ٩٥] .

وأما مرض القلب بالحسد ، فإنه يزداد ألمه عند الحاسد ، كلما رأى المحسود في نعمة وصحة ، وجاه ومال ، ولا يرتاح هذا الحاسد حسداً مذموماً ، إلا بزوال هذه النعم عن المحسود ، ليتشفى بذلك ، لأن حسده يأكل قلبه كما تأكل النار الحطب .. والحسد هو أول ذنب عصى الله به ، حيث حسد إبليس أبانا آدم ، فخرج بذلك من رحمة الله ، واستوجب غضب الله ولعنته ، لأنه عصا أن يسجد له كما أمر الله .. وبه سُفِكَ أول دم

حرام على وجه الأرض ، عند ما قتل قابيل أخاه هابيل ، لأن الله قبل منه عمله الصالح ، والصدقة الطيبة ، ولم تقبل منه هو لأن نيّته كانت رديئة ، وقلبه مريضاً .

ولا يزيد هذا الحسد إلا ذكر الله الذي تطمئن به القلوب ، والرضا بقسمة الله ورزقه ، وعدم التطلع إلى ما أعطى الله الآخرين من فضائل ، والاستعاضة عند ذلك بتقوى الله ، والإكثار من سؤاله .. لأن الله هو المعطى ، وهو المتفضّل ، وهو الرّازق سبحانه ، فأسأله أن يعطيك مثلما أعطاهم ، وألحّ عليه في الدعاء ، فإن الله يحب من عبده ذلك ، لأنه جلّ وعلا لا يضيّع دعوة عبده ، بل هي بإحدى ثلاث : إما التعْجيل ، وإما دفع ما هو شر على الإنسان ، أو ادّخار أجرها في الآخرة ، فإذا حرص المرء على ذلك اطمأن قلبه ، وشفى الله مرض قلبه ..

وأما مرض الشبهات والشهوات : فهو شئ قد يكون عارضاً يعتري بعض القلوب ، حيث لا تكون صحيحة صالحة ، كصالح قلوب المؤمنين الصادقين ، ولا سيئة كموت قلوب الكفار المعاندين ، والمناقين الموالين لأعداء دين الله ، فإن القلب الصحيح لو تعرض لمال تتوق إليه نفسه ، أو تعرّضت له امرأة حسناء لتفتنه ، فإنه لن يتعرض لهذا أو ذاك ، ولن يميل قلبه السليم من المرض ، خوفاً من الله ، وامتثالاً لأمره سبحانه ، بعد التعرض لما حرم الله ، مما تشتهيه النفس ، ويميل إليه القلب ، وذلك بعكس القلب المريض بحب المال ، أو شهوة النساء ، أو غير ذلك من أعراض الحياة الدنيا ، شهوة أوشبهة ، فإن هذا القلب لضعفه يميل إلى ما عرض له من ذلك كله ، طمعاً في تحقيق الشهوة ، وإقدامه بحسب قوة المرض أو ضعفه .. وهكذا في سائر المعاصي .

ذلك أن القلب المريض ، يرغب فيما يتوقعه نافعاً له ، بشهوة عارضة ، أو معصية يغض الطرف عن نتائجها ، ويشتهيه بعقوبتها ، لأن

الوازع الإيمانيّ قد خفّ من هذا القلب ، كما جاء في الحديث : "لا يزني الزاني حين يزني ، وهو مؤمن ، ولا يسرق السّارق حين يسرق ، وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها ، وهو مؤمن" ، وقد فسّر العلماء ذلك ، بأن الإيمان يرتفع عن صاحبه عند مزاولته لهذا الأمر ، فإن تاب إلى الله وندم عاد إليه إيمانه ، ومجمل القول أن من علاجات القلب المريض ، قراءة القرآن الكريم وتفهم معانيه ، فإنه شفاء لما في الصدور ، والاهتمام بالترغيب والترهيب ، والموعظة الحسنة ، والقصص التي فيها عبر ، والإنابة إلى الله ، والإكثار من ذكره ، والتسبيح والتحميد والتكبير ، وتذكّر الجنة والنار ، والجزاء والعقاب ، وما وعد الله به للمؤمنين ، وما جزاء المعاندين المبتعدين عن الطريق السوي .. كل هذا مما يلين القلب القاسي ، ويشفي به سبحانه القلب المريض .. حتى يكون قنوعاً .

☆ تربية النفوس :

ذكر المسعوديّ في تاريخه مروج الذهب : أن من عمال عمر بن الخطاب على حمص سعيد ين عامر بن خريم ، فشكاه أهل حمص إليه ، وسألوه عزله ، فقال عمر : اللهم لا تُفِلْ فراستى فيه اليوم ، وقال لهم : ماذا تشكون فيه ؟ قالوا : لايخرج إلينا حتى يرتفع النهار ، و لا يجيب أحداً بالليل ، وله يوم في الشهر لا يخرج إلينا ، فقال عمر : عليّ به .

فلما جاء جمع بينهم وبينه ، فقال : ما تنقمون منه ؟ قالوا : لا يخرج إلينا حتى يرتفع النهار ، فقال : ما تقول يا سعيد ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! إنه ليس لأهلي خادم ، فأعجن عجيني ، ثم أجلس حتى يختمر ، ثم أخبز خبزي ، ثم أتوضأ وأخرج إليهم .. قال : وماذا تنقمون منه ؟ قالوا : لا يجيب بليل ، قال : قد كنت أكره أن أذكر هذا ، إني جعلت الليل كلّه لربى ، وجعلت النهارلهم ، قال : ماذا تنقمون منه ؟ ، قالوا : له يوم في الشهر لا يخرج إلينا فيه ، قال : نعم ، ليس لي خادم ، فاغسل ثوبي ، ثم

أجففه فأمسى ، فقال عمر : الحمد لله الذي لم يفل فراستي فيك ، يا أهل حمص ! استوصوا بواليكم خيراً .

ثم بعث إليه عمر بألف دينار ، وقال : استعن بها .. فقالت له امرأته : قد أغنانا الله عن خدمتك ، فقال لها : ألا ندفعها إلى من يأتينا بها أحوج ماكنا إليه ؟ قالت : بلى ، فصرّها صرراً ، ثم دفعها إلى من يثق به ، وقال : انطلق بهذه الصرة إلى فلان ، وبهذه إلى يتيم بني فلان ، وهذه إلى مسكين بني فلان ، حتى بقي منها شئ يسير ، فرفعه إلى امرأته ، وقال : أنفقى هذا ، ثم عاد إلى خدمته ، فقالت له امرأته : الا تبعث إليّ بذلك المال ، فنشترى لنا منه خادماً ؟ ، قال : سيأتيك أحوج ما تكونين إليه .

أما عامله على المدائن ، فهو سلمان الفارسي ﷺ : وكان يلبس الصوف ، ويركب الحمار ببرذعته ، بغير إكاف ، ويأكل خبز الشعير ، و كان ناسكاً زاهداً ، فلما احتضر بالمدائن ، قال له سعد بن أبي وقاص ﷺ : أوصني ، يا أبا عبد الله ! قال : نعم ، قال : أذكر الله عند همّك إذا هممت ، وعند لسانك إذا حكمت ، وعند يدك إذا قسمت ، فجعل سلمان يبكي ، فقال له : يا أبا عبد الله ! ما يبكيك ؟ ، قال : سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : إن في الآخرة عقبة لا يقطعها إلا المخفّون ، وأرى هذه الأساودة ، فنظروا فلم يجدوا في البيت إلا إداوة وركوة ومطهرة .

وعامله بالشام أبو عبيدة بن الجراح ، وكان يظهر للناس وعليه الصوف الجافى ، فعذل عن ذلك ، وقيل له : إنك بالشام ، و والي أمير المؤمنين وحولنا الأعداء ، فغيّر من زيك وأصلح من شارتك ، فقال : ما كنت بالذي أترك ما كنت عليه في عصر رسول الله ﷺ [٢: ٢٠٥-٢٠٧] .

☆☆☆

دور الصيام في بناء حضارة الإسلام

[٢/الأخيرة]

الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد
(جمهورية مصر العربية)

والصوم : تربية للإرادة ، وتربية على الصبر ، فالصائم يجوع ، وأمامه شهي الطعام وألوانه المختلفة ، ويعطش وبين يديه بارد الماء ، وملذات الشراب ، ويعف وبجانبه زوجته في عش الزوجية ، لا رقيب عليه إلا ربه ، ولا سلطان عليه إلا ضميره ، ولا يسنده في ذلك إلا إرادته القوية الواعية يتكرر ذلك نحو خمس عشرة ساعة أو أكثر في كل يوم ، وتسعة وعشرين أو ثلاثين يوماً أو أكثر من ذلك في كل عام ، إن زاد في صيامه على صيام الفرض ، فأي مدرسة تقوم بتربية الإرادة الإنسانية ، وتعليم الصبر الجميل كمدرسة الصيام ؟! لقد كتب عالم نفساني ألماني بحثاً عن تقوية الإرادة أثبت فيه أن أعظم وسيلة لذلك هو الصوم (٣٩) ، والصائم حينما يخلو بالمفطرات وهو على يقين بأنه لا رقيب عليه إلا الله تعالى ، ويتجنبها تتربى عنده المراقبة لله ، والخوف منه ، والامتثال لطاعته ، والأمانة في السر والعلانية ، قال تعالى : ﴿ وهو معكم أينما كنتم * والله بما تعملون ﴾ [سورة الحديد آية/٤] (٤٠) .

والصيام تجربة على الحرمان من المتع ، وما تشتهيه الأنفس ، وهذه التجربة ضرورية في حياة الناس عامة أغنيائهم وفقرائهم ؛ فالحياة ابتلاء ، قال تعالى في سورة الإنسان ، آية/٢ : ﴿ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه ﴾ ، وكما يكون الابتلاء باقتناء النعم والثروات يكون بالحرمان وبالأزمات ، قال تعالى في سورة الأنبياء ، آية/١٦٠ : ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ ، وأصحاب الابتلاء بالنعم والثروات "الصائم" منهم بإمساكه عن المتع رغم وجودها بين يديه هو الذي تمر عليه الأزمات و الشدائد بسبب نقص الأموال و الأنفس و الثمرات دون أن تحدث أثراً

سلبياً في نفسه ، فقد ذاق الحرمان المؤقت بالصيام ، وأصحاب الابتلاء بالشدة والفقر "الصائم" منه باستساغته للحرمان استساغة نفسية أثناء الصيام يعضد من وقوفه في عزم وصبر وإصرار أمام حرمان ما بعد الصيام طالت أو قصرت مدته (٤١) .

والصيام تذكير عملي لأصحاب النعم والثروات بجوع الجائعين ، وبؤس البائسين ، تذكير بغير خطبة بليغة ولا لسان فصيح ، تذكير بأن هناك معدات خاوية ، وبطوناً خالية ، وأحشاءً لا تجد ما يسد الرمق ويطفئ الحرق ، تذكير يسمعه الصائم من صوت المعدة ونداء الأمعاء ، فينمو في قلبه الإحساس بما يلاقيه المعوزون ، والمقلون في المجتمع ، فيرق قلبه ويعطف على المعوزين والفقراء ، ويعطي المحتاجين ويمد يده إلى المساكين ، فقد روى أن يوسف عليه السلام كان يكثر الصيام ، وهو على خزائن الأرض بيده المالية والتموين ، فسئل في ذلك فقال : "أخاف إذا شبعت أن أنسى جوع الفقير"، وبالصيام يعرف المرء مقدار نعم الله عليه ، فإذا تكررت النعم على الإنسان قل شعوره بها ، ولا تعرف قيمتها إلا بفقدانها ، فالحلو لا تعرف قيمته إلا لمن ذاق المرء ، والنهار لا يعرف قيمته إلا إذا جن الليل ، وبضدها تتميز الأشياء ، ففي الصوم عند ما يذوق الفرد حرارة العطش ، ومرارة الجوع يعرف قيمة الطعام والشراب والشبع والري ، ومن أجل ذلك و رد عن النبي الكريم ﷺ أنه قال : "عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً ، قلت : لا ، يارب ! ولكن أشبع يوماً ، وأجوع يوماً ، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك ، وإذا شبعت شكرتك وحمدتك" رواه الترمذي وحسنه ، والصوم قبل ذلك وبعده تمام التسليم لله ، وكمال العبودية لجلالته ، وهذه الحكمة هي القدر المشترك في كل عبادة ، والهدف الأسمى من كل فريضة ، ولن تكون العبادة عبادة ، ولا العبد عبداً إلا بها ، يقول رب العباد : (أمرت ونهيت) ، ويقول العباد : ﴿ سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ [سورة البقرة ، الآية/٢٨٥] ، ذلكم هو الصوم في الإسلام لم يشرعه الله تعذيباً للبشر ، ولا انتقاماً ، كيف ؟ وقد ختم آية الصوم بقوله تعالى : ﴿ يريد الله

بكم اليسر * ولا يريد بكم العسر ﴾ [سورة البقرة ، الآية/١٨٥] ، وإنما شرعه الله إيقاظاً للروح ، وتصحيحاً للجسد ، وتقوية للإرادة ، وتعويداً على الصبر ، وتعريفاً بالنعمة ، وتربية لمشاعر الرحمة ، وتدريباً على كمال التسليم لله رب العالمين (٤٢) .

ومن منافع الصيام سعة الرزق : فلما كان لأعمال الفرد سواء كانت خيراً أو شراً (جملة آثار) تعود عليه ، ويجني ثمارها في الدنيا قبل الآخرة ، فإن كانت من الحسنة أثرت في الرزق بالسعة ، وإن كانت من السيئات أثرت في الرزق بالنقص ، كما قال ابن عباس : أن للحسنة ضياءً في الوجه ، ونوراً في القلب ، وقوة في البدن ، وسعةً في الرزق ، ومحبةً في قلوب الخلق ، وأن للسيئة سواداً في الوجه ، وظلمةً في القلب ، و وهناً في البدن ، ونقصاً في الرزق ، وبغضةً في قلوب الخلق (٤٣) ، فما بالنا بالصيام الذي لا يقف ثوابه عند القدر الذي يقف عنده جزاء سائر الحسنات ، بل يفوقها بقدر لا يعلمه إلا الله ، قال تعالى فيما حكاه عنه نبيه ﷺ : "كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام ، فإنه لي وأنا أجزي به" من حديث أبي هريرة (٤٤) .

وفي شهر رمضان يزداد رزق المؤمن ، وإلى ذلك أشار النبي الكريم ﷺ في خطبته عند ما حضر رمضان ، فقال : "يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك شهر فيه ليلة خير من ألف شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعاً من تقرب فيه بخصلة كان كمن أدي فريضة فيما سواه ، ومن أدي فريضة فيه كان كمن أدي سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يزاد في رزق المؤمن فيه" ، وزيادة الرزق هنا إما معنوية يجعل القليل كثيراً ، وأما بزيادة حسية بأن يفتح الله تعالى على المؤمن في هذا الشهر من أبواب الرزق ما لم يخطر له على بال ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، ومن المشاهد وأننا نرى الزيادة الحسية المادية ظاهرة في شهر رمضان عن غيره من الشهور ، وهذه من بركة الشهر الكريم (٤٥) .

وشهر رمضان : هو شهر الإكثار من الصدقات والإحسان ، وكافة أنواع القربات ، روى صدقة بن موسى عن ثابت عن أنس ، قال : قيل : يا رسول الله ! أي الصدقة أفضل ؟ قال : "صدقة في رمضان" (٤٦) ، وقد كان رسول الله ﷺ أجود ما يكون في رمضان خصوصاً عند لقاء جبريل ، فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : كان رسول الله ﷺ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان ، فيدارسه القرآن ، فرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة ، رواه البخاري ، وعن أنس خادم رسول الله ﷺ أنه قال : قال لي رسول الله ﷺ عند السحور : "يا أنس ! إني أريد الصيام ، فأطعمني شيئاً" فأتيته بتمر وإناء فيه ماء ، وذلك قبل الفجر بيسير ، فقال لي : "يا أنس ! انظر رجلاً يأكل معي" ، فدعوت زيد ثابت فدخل وتسحر معه ، ثم قام فصلى ركعتين ، ثم خرج إلى الصلاة ، أخرجه النسائي ، وكذلك كان أصحابه الأجلاء عليهم جميعاً رضوان الله يواسون الفقراء من إفطارهم ، أو يؤثرون على أنفسهم ، ويطوون هم على الجوع ، فقد روى أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يصوم ولا يفطر إلا مع المساكين ، فإذا لم يجد أو منعه أهله عنهم لم يتعش تلك الليلة ، وكان إذا جاءه سائل ، وهو على طعامه أخذ نصيبه من الطعام وقام فأعطاه للسائل ، فربما رجع فوجد أهله قد أكلوا ما بقي من الطعام ، فيصبح صائماً ، وما أكل شيئاً ، يقول الشافعي ﷺ : أحب للصائم الزيادة بالجود في شهر رمضان اقتداء برسول الله ﷺ ، وحسبك قول الرسول الكريم ﷺ : "... من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه ، وعتقاً لرقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير إن ينقص من أجر الصائم شئ" ، قالوا : يا رسول الله ! ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم ، فقال رسول الله ﷺ : "يعطي الله هذا الثواب من فطر صائماً على تمرة أو شربة ماء أو مذقة لبن" ، كما قال : "من سقى صائماً سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ بعده حتى يدخل الجنة" (٤٧) ، وتنتشر في شهر رمضان موائد الرحمن في جميع أنحاء الدول الإسلامية من أشدها فقراً إلى أكثرها

غنى ، يؤمها جموع غفيرة من الصائمين ميسوري الحال أومحتاجين كلا دفعته حاجته إليها ، فمنهم من دفعه العوز ، والحاجة الشديدة إلى طعام يشبع جوعه وشرب يسقي ظمأه ، ومنهم من دفعه قصد توفير نفقات الطعام وتوجيها للإنفاق على أشياء أخرى أو توفيرها إلى شهر آخر ، ومنهم من دفعه تواجده خارج المنزل لقضاء بعض منافعه وحاجاته أو لسفر فأذن للمغرب وهو في طريقه فقصد موائد الرحمن ، ومنهم من دفعه حب لقاء الأخوة وبركة التقائهم على الفطور معاً ، ومنهم كما نرى في الحرمين الشريفين حيث يجتمع الألوف المألوفة لأداء صلاة المغرب ، وحتى ميعاد إقامة الصلاة يتناول الصائمون وجبة الإفطار .

وفي شهر رمضان تشهد الأسواق التجارية بمختلف أنواعها انتعاشاً اقتصادياً ملحوظاً حيث يقبل الصائمون في أوله على شراء ما لذ وطاب من الأطعمة حيث تختص بعض الأطعمة بالإقبال عليها في هذا الشهر دون غيره من الشهور ، كما تشهد بعض المأكولات زيادة الطلب عليها أكثر من أي شهر آخر ، ومن يقتصر في صيامه على وجبتي الإفطار والسحور دون تبذير ، ولا إسراف سيؤدي ذلك حتماً إلى خفض الاستهلاك مما سيكون له تأثير إيجابي على ميزانية الأسرة ، وستصبح أيام الصيام أيام توفير وإدخار ، وفي آخر الشهر الكريم يحرص الصائمون على اقتناء الملابس الجديدة ما قل سعرها وما علا استعداداً لعيد الفطر المبارك .

ومن بين المنافع المادية لفريضة الصيام وتعتبر مصدر رزق للمنتفع بها ، فدية الإفطار ، حيث يرخص للشيخ الكبير ، والمرأة العجوز ، والمريض الذي لا يرجى برؤه ، والحبلى والمرضع إذا خافتا على أنفسهما أو أولادهما ، والذين يسترزقون من ممارسة أعمال شاقة ، وليس لديهم مصدر للرزق غيرها ، يرخص لهؤلاء جميعاً في الفطر ، إذا كان الصيام يجهدهم ويشق عليهم مشقة شديدة طوال أيام السنة ، ويجب على كل منهم فدية إطعام مسكين عن كل يوم ، قال تعالى في سورة البقرة ، آية/١٨٤ : ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾ ، قال ابن عباس : رخص

للشيخ الكبير أن يفطر ويطعم عن كل يوم مسكيناً ، ولا قضاء عليه ، رواه الدار قطني والحاكم وصححاه ، وروى أبو داؤد عن عكرمة ، قول ابن عباس : رخصة للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة ، وهما يطيقان الصيام أن يفطرا ويطعما مكان كل يوم مسكينا ، والحبلى والمرضع إذا خافتا (يعني على أولادهما) أفطرتا وأطعمتا ، رواه البزار ، وزاد في آخره : وكان ابن عباس يقول لأم ولد له حبلى : أنت بمنزلة الذي لا يطيقه فعليك الفداء ، ولا قضاء عليك ، وصحح الدار قطني إسناده ، وعن نافع أن ابن عمر سئل عن المرأة الحامل إذا خافت على ولدها ، فقال : تفطر وتطعم مكان كل يوم مسكيناً مداً من حنطة ، رواه مالك والبيهقي ، فالحبلى والمرضع إذا خافتا على أنفسهما أو أولادهما أفطرتا وعليهما الفدية ، ولا قضاء عليهما عند ابن عمر ، وابن عباس ، وفي الحديث : "إن الله وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة وعن الحبلى والمرضع الصوم" ، وعند الأحناف وأبي عبيد وأبي ثور أنهما يقضيان فقط ولا إطعام عليهما ، وعند أحمد والشافعي أنهما إن خافتا على الولد فقط ، وأفطرتا فعليهما القضاء والفدية ، وإن خافتا على أنفسهما فقط أو على أنفسهما وعلى ولدهما فعليهما القضاء لا غير ، والمريض الذي لا يرجى برؤه ويجهده الصوم ، مثل الشيخ الكبير ، ولا فرق ، وكذلك العمال الذين يضطلعون بشاق الأعمال ، قال الشيخ محمد عبده : فالمراد بمن (يطيقونه) في الآية الشيوخ الضعفاء والزمنى ونحوهم ، كالفعلة الذين جعل الله معاشهم الدائم بالأشغال الشاقة كاستخراج الفحم الحجري من مناجمه ، ومنهم المجرمون الذين يحكم عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة إذا شق الصيام عليهم بالفعل وكانوا يملكون الفدية (٤٨) .

ومن بين هذه المنافع أيضاً ، وتعتبر هي الأخرى مصدراً للرزق ، الكفارة ، فللصيام شروط وجوب ، وشروط صحة ، وأمور يستحب للصائم فعلها وأخرى يكره له القيام بها ، و لابد له من اجتنابها ، كما له مفسدات أو مبطلات ، منها ما يبطله ، ويوجب قضاء أيام أخرى بدلاً من تلك التي بطل الصيام فيها ، ومنها ما يبطله ، ويوجب الكفارة مع القضاء ،

وقد أجمع الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة على أن ما يبطل الصيام ، ويوجب القضاء والكفارة هو الجماع ، وزاد الحنابلة عليه المساحقة ، بينما زاد الحنفية تناول غذاء أو ما في معناه مما يميل إليه الطبع ، وتنقضي به شهوة البطن ، وأكل الطين الأرمني ، وقليل الملح ، وابتلاع حبة حنطة أو سمسة من خارج الفم أو ابتلاع ريق الزوجة للتلذذ به ، وشرب الدخان ، وتناول الأفيون والحشيش ، وما نحو ذلك ، وزاد المالكية كل مفسدات الصيام من القئ بدون علة وصول أي شئ إلى المعدة سواء كان قيئاً أو مائعاً أو غيرهما ، وصول مائع إلى الحلق من فم أو أذن أو أنف سواء كان المائع ماء أو غيره ، وفي حكم المائع الدخان الذي اعتاد الناس شربه ، استعمال الكحل والحناء ، ودهن الشعر ، و وصولهم إلى الحلق أو وجود طعمهم فيه بشروط معينة ، هي : أن تقع أي من هذه المبطلات نهاراً في صوم رمضان أداء بخصوصه لا في أي صوم أخر ، سواء كان هذا الصوم صوم نفل ، أو صوم كفارة ، أو صوم قضاء ، أو صوم منذور باتفاق الشافعية والحنفية والحنابلة والمالكية ، أن يكون الصائم مبيتاً لنية الصوم من الليل ، فلو لم يبيت النية للصيام ، فلا كفارة عليه عند الشافعية والحنفية ، أما الحنابلة ، فقالوا : بوجوب الكفارة في الجماع سواء كان الفاعل مبيتاً لنية الصيام أم لا ، وعند المالكية رفع النية ورفضها نهاراً ، أو رفعها ليلاً ، واستمرار رفعها حتى طلوع الفجر من الأمور التي تبطل الصوم ، وتوجب القضاء والكفارة سواء ارتكب مفسداً أم لا ، أن يكون الصائم مكلفاً بالغاً عاقلاً عند الحنفية والشافعية والمالكية ، وأن يكون متعمداً لا ناسياً أو مخطئاً طائعاً مختاراً لا مكرها عند الحنفية والشافعية والمالكية ، وزاد الشافعية والمالكية أن يكون عالماً بالتحريم ، أما الحنابلة فقالوا : بوجوب الكفارة سواء كان الفاعل متعمداً أو ناسياً عالماً ، أو جاهلاً مختاراً ، أو مكرهاً ، أو مخطئاً ، أن لا يكون هناك عذر شرعي يبيح الفطر ، فمن ارتكب أي شئ من المبطلات التي سبقت الإشارة إليها ، وهو على رخصة للفطر ، فلا كفارة عليه عند الشافعية والحنفية والمالكية ، أن يكون

معتقداً صحة صومه ، فلو أكل أو جامع زوجته ناسياً أو مكرها فظن أن هذا مفطر ، ثم جامعها أو أكل بعد التذكر أو زوال الإكراه عمداً ، فلا كفارة عليه عند الشافعية والحنفية والمالكية ، أما عند الحنابلة ، فالكفارة واجبة سواء كان الفاعل صائماً حقيقياً، أو ممسكاً إمساكاً واجباً ، والممسك هو من أفطر ناسياً ، مثلاً أو مكرها ، ثم تذكر أو زال الإكراه ، فأمسك بقية يومه ، وعند المالكية أيضاً من سافر مسافة أقل من القصر ، فظن أن الفطر مباح له ، فنوى الفطر من الليل ، وأصبح مفطراً ، فلا كفارة عليه ، ومن رأى هلال شوال نهار الثلاثين من رمضان ، فظن أنه يوم عيد ، وأن الفطر مباح ، فأفطر ، فلا كفارة عليه ، وهذا هو المساند في فطره لأمر موجود ، بينما إذا أفطر بعد قيامه بأعمال ظناً منه أنها تفطره كالغيبة والحجامة أو المس أو القبلة بشهوة من غير إنزال لزمته الكفارة ، لأن هذه الأشياء لا تفطر ، وهذه الشبهة لا قيمة لها عند الحنفية .

☆☆☆

(٣٩) العبادة في الإسلام : يوسف القرضاوي : ص/٢٩١ .

(٤٠) مجلة : "الهداية" ، تصدرها وزارة العدل والشئون الإسلامية بدولة البحرين ، العدد/٢٧١ ، رمضان/١٤٢٠هـ ، يناير ٢٠٠٠م ، مقال بعنوان : (صوم رمضان ودوره في تربية المسلم): ص/٣١-٣٢ .

(٤١) الدين والدولة من توجيه القرآن الكريم : محمد البهي : من ص/٢١٨ إلى/٢٢٦ .

(٤٢) العبادة في الإسلام : يوسف القرضاوي : من ص/٢٩٢ إلى/٢٩٥ .

(٤٣) الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب : شمس الدين بن قيم الجوزية : ص/٦٩ .

(٤٤) إحياء علوم الدين : أبي حامد الغزالي : ٢٠٥/١ .

(٤٥) البركة في القرآن : محمد أحمد طه : ص/١٦٣ .

(٤٦) شعب الإيمان : أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي : ج/٣ ، ص/٣١٢ .

(٤٧) من وصايا الرسول ﷺ : طه عبد الله العفيفي : ج/١ ، من ص/٣٠١ ص/٣٠٦ .

(٤٨) فقه السنة : السيد سابق : ج/١ ، من ص/٤٣٩ إلى/٤٤١ .

من أعلام السنة :

الإمام الحافظ الزيلعي

بقلم : الأستاذ محمد رحمة الله الندوي
(الدوحة - قطر)

☆ نبذة عن مؤلف "نصب الراية" الإمام الحافظ الزيلعي رحمه الله :

هو الإمام الحافظ العمدة جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف ابن يونس بن محمد الزيلعي الحنفي ، أحد كبار حفاظ الحديث في القرن الثامن ، ذكره الإمام السيوطي من حفاظ الحديث (١) .

ولادته : لم يحدد المترجمون سنة ولادته رحمه الله بالضبط ، لكن قربها بعض العلماء بمعاصريه ، والأقرب أن تكون ولادته في حدود سنة ٧٢٠هـ ، ومما يقرب هذا أن الحافظ العراقي كان يرافقه في مطالعة الكتب لتخريج أحاديث إحياء علوم الدين ، بل كان يفيد كل منهما الآخر ، وكانت ولادة الحافظ العراقي سنة ٧٢٥هـ .

وهذا ما ذكره الحافظ ابن حجر رحمه الله ، فقال : ذكر لي شيخنا الزين العراقي أنه كان مرافقاً للزيلعي في مطالعة الكتب الحديثية لتخريج الكتب التي كانا قد اعتنيا بتخريجها ، فالعراقي لتخريج أحاديث الإحياء ، والأحاديث التي يشير إليها الترمذي في كل باب ، والزيلعي لتخريج أحاديث الهداية والكشاف ، وكل منهما يعين الآخر (٢) .

(١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة : ٣٥٩/١ .

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : ٣١٠/٢ .

هذا وقد ذكر الأستاذ محمد عوامة أدلة على هذا مفادها : أن الزيلعي ملأ كتابه من النقول عن الإمام لابن دقيق العيد المتوفى سنة ٧٠٢هـ ، وعن السّروجي وكانت وفاته ٧١٠هـ ، ونقل عن عيون الأثر لابن سيد الناس المتوفى سنة ٧٢٤هـ ، وعن الحافظين المزي والذهبي كثيراً ، وكانت وفاة المزي ٧٤٢هـ ، و وفاة الذهبي ٧٤٨هـ (١) .

وهذا كله يدل على أن ولادة الحافظ الزيلعي تقارب ولادة الشيخ العراقي ، وهي بداية القرن الثامن الهجري ، وأقوى دليل على هذا ما ذكره الحافظ ابن حجر رحمه الله .

شيوخه : قسم العلماء شيوخ الحافظ الزيلعي إلى قسمين : شيوخه في الفقه ، وشيوخه في الحديث ، وفيما يأتي نذكر بعض شيوخه في كلا القسمين :

☆ شيوخه في الفقه :

١- الإمام فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي المتوفى سنة ٧٤٢هـ ، شارح كنز الدقائق المسمى بتبيين الحقائق .

٢- شمس الدين محمد بن أحمد بن عدلان المتوفى سنة ٧٤٩هـ .

٣- شهاب الدين أحمد بن محمد بن قيس الأنصاري المتوفى ٧٤٩هـ .

٤- بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل المتوفى ٧٦١هـ .

☆ شيوخه في الحديث :

١- الإمام شيخ حفاظ عصره أبو الحجاج المزي المتوفى ٧٤٢هـ .

٢- الإمام الحافظ شمس الدين الذهبي المتوفى ٧٤٨هـ .

٣- الإمام الحافظ علاء الدين المارديني المتوفى ٧٥٠هـ .

☆ تصانيفه : ١- الإسعاف بأحاديث الكشاف .

(١) دراسة حديثية لنصب الراية للأستاذ محمد عوامة : ص/١٥٢ .

٢- مختصر معاني الآثار للإمام الطحاوي .

٣- نصب الراية لأحاديث الهداية .

☆ ثناء العلماء عليه :

قال العلامة الكوثري : تخاريجه شهود صدق على تبحره وسعة اطلاعه في علوم الحديث من معانيه ، وأسماء رجاله ومتونه وطرقه (١) .

قال العلامة اللكهنوي : كان من أعلام العلماء برع في الفقه والحديث ، وتخريجه شاهد على تبحره في فن الحديث ، وأسماء الرجال ، وسعة اطلاعه وعمق نظره في فروع الحديث إلى الكمال ، وله في مباحث الحديث إنصاف لا يميل ، إلى الاعتساف (٢) .

☆ وفاته : قال ابن فهد رحمه الله : وكانت وفاته رحمه الله تعالى في اليوم الحادي عشر من المحرم الحرام سنة اثنتين وستين وسبعمائة ، وكان ذلك بالقاهرة ، ولم يعين أحد مكان قبره .

☆ يراجع لترجمته : ١- دراسة حديثية لكتاب "نصب الراية" للأستاذ محمد عوامة : ص/١٥١-١٥٦ .

٢- الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر العسقلاني المجلد الثاني .

٣- الفوائد البهية للعلامة اللكهنوي : ص/٣٧٨-٣٧٩ .

٤- ذيل تذكرة الحفاظ لابن فهد : ص/١٣٠ .

٥- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، المجلد الأول .

☆ نظرة عابرة على فن التخريج ونشأته -- المؤلفات فيه :

أولاً : التخريج لغة :

ويطلق التخريج لغة على عدة معان منها :

---

(١) التعليقات على ذيول تذكرة الحفاظ : ص/١٢٩ .

(٢) الفوائد البهية للعلامة اللكهنوي : ص/٣٧٨-٣٧٩ .

= الاستنباط . = التدريب . = التوجيه .

تقول : خرّج المسألة وجهها أي بين لها وجهاً (١) ، والمخرج : هو موضع الخروج ، يقال : خرج مخرجاً حسناً ، وهذا مخرجه (٢) ، ومنه قول المحدثين : هذا حديث عرف مخرجه ، أي موضع خروجه ، وهو رواة إسناده الذين خرج الحديث من طريقهم (٣) .

☆ التخريج عند المحدثين :

١- يرادف الإخراج ، أي إبراز الحديث للناس بذكر مخرجه أي رجال إسناده الذين خرج الحديث من طريقهم ، مثلاً يقولون : هذا حديث أخرجه البخاري ، وفي هذا المعنى يقول الإمام ابن الصلاح : وللعلماء بالحديث في تصنيفه طريقتان : إحداهما : التصنيف على الأبواب ، وهو تخريجه على أحكام الفقه وغيرها ، فالمراد بقوله "تخريجه" أي إخراجه ، وروايته للناس في كتابه (٤) .

٢- إخراج الأحاديث من بطون الكتب ، وروايتها ، قال السخاوي في فتح المغيث : "والتخريج : إخراج المحدث الأحاديث من بطون الأجزاء والمشيخات والكتب ونحوها ، وسياقها من مرويات نفسه أو بعض شيوخه أو أقرانه أو نحو ذلك ، والكلام عليها ، وعزوها لمن رواها من أصحاب الكتب والدواوين (٥) .

٣- الدلالة : أي الدلالة على مصادر الحديث الأصلية ، وعزوها إليها ، وذلك بذكر من رواه من المؤلفين .

---

(١) أصول التخريج : ص/١٠ .

(٢) لسان العرب : ٢٤٩/٢ .

(٣) أصول التخريج ودراسة الأسانيد : ص/١٠ .

(٤) علوم الحديث للعلامة ابن الصلاح : ص/٢٢٨ .

(٥) فتح المغيث للإمام السخاوي : ٣٣٨/٢ .

قال المناوي في شرحه عند قول السيوطي : "وبالغت في تحرير التخريج" أي اجتهدت في تهذيب عزو الأحاديث إلى مخرجيها من أئمة الحديث من الجوامع والسنن والمسانيد ، فلا أعزو إلى شئ منها إلا بعد التفتيش من حاله وحال مخرجيه ، ولا اكتفى بعزوه إلى من ليس من أهله وإن جلّ كعظماء المفسرين (١) .

يقول الدكتور محمود الطحان : والمعنى الثالث هو الذي شاع واشتهر بين المحدثين ، وكثر استعمال هذا اللفظ فيه ، لا سيما في القرون المتأخرة ، بعد أن بدأ العلماء بتخريج الأحاديث المبثوثة في بطون بعض الكتب لحاجة الناس (٢) .

☆ التخريج اصطلاحاً :

هو الدلالة على موضع الحديث في مصادره الأصلية التي أخرجته بسنده ، ثم بيان مرتبته عند الحاجة (٣) .

☆ لمحة موجزة عن تاريخ التخريج ونشأته :

لقد تناول الدكتور محمود الطحان بذكر لمحة موجزة عن تاريخ هذا الفن العظيم ونشأته ، فيقول حفظه الله : لم يكن العلماء والباحثون في القديم بحاجة إلى معرفة القواعد والأصول التي أطلقنا عليها اسم أصول التخريج ، لأن اطلاعهم على مصادر السنة كان اطلاعاً واسعاً ، وصلتهم بمصادر الحديث الأصلية كانت وثيقة ، فكانوا عند ما يحتاجون للاستشهاد بحديث ما ، سرعان ما يتذكرون موضعه في كتب السنة ، بل وفي أي جزء من تلك الكتب ، أو يعرفون - على الأقل - مظانه في المصنفات الحديثية ، وهم على علم بطريقة تأليف تلك المصنفات وترتيبها ، لذلك يسهل عليهم

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير : ٢٠/١ .

(٢-٣) أصول التخريج ودراسة الأسانيد : ص/١٢ .

الاستفادة منها ، والمراجعة فيها لاستخراج الحديث ، وقلّ مثل ذلك فيمن يقرأ حديثاً في مصنف من المصنفات غير الحديثية ، فإن لديه القدرة على معرفة مصدره ، والوصول إلى موضعه بسهولة ويسر .

وبقيت الحال على ذلك عدة قرون ، إلى أن ضاق اطلاع كثير من العلماء والباحثين على كتب السنة ومصادرها الأصلية ، فصعب عليهم حينئذ معرفة مواضع الأحاديث التي استشهد بها المصنفون في العلوم الشرعية وغيرها كالفقه والتفسير والتاريخ ، فنهض بعض العلماء وشمروا عن ساعد الجد ، فخرجوا أحاديث بعض الكتب المصنفة في غير الحديث ، وعزوا تلك الأحاديث إلى مصادرها من كتب السنة والأصول ، وذكروا طرقها ، وتكلموا على بعضها أو كلها بالتصحيح والتضعيف حسب ما يقتضيه المقام ، فظهر ما يسمى بكتب التخريج (١) .

☆ أشهر كتب التاريخ :

لقد ذكر العلامة محمد بن جعفر الكتاني ما يقارب أربعين كتاباً في التخريج أذكر بعضاً منه :

١- تخريج أحاديث المهذب لمحمد بن موسى الحازمي ، ت/٥٨٤هـ.

٢- تخريج أحاديث المختصر الكبير لمحمد بن أحمد عبد الهادي المقدسي ، ت/٧٤٤هـ .

٣- الطرق والوسائل إلى معرفة خلاصة الدلائل لأحمد بن عثمان التركماني ، ت/٧٤٤هـ .

٤- نصب الراية لأحاديث الهداية لعبد الله بن يوسف الزيلعي ، ت/٧٦٢هـ .

٥- تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي نفسه .

(١) نفس المصدر : ص/١٢ .

٦- البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير لعمر بن علي بن الملقن ، ت/٨٠٤هـ .

٧- المغنى عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار للعراقي ، ت/٨٠٦هـ .

٨- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث شرح الوجيز الكبير للحافظ ابن حجر العسقلاني ، ت/٨٥٢هـ .

٩- الدراية في تخريج أحاديث الهداية لابن حجر العسقلاني .

١٠- تحفة الراوي في تخريج أحاديث البيضاوي لعبد الرؤوف المناوي ، ت/١٠٣١هـ .

وقد حاول عدد كبير من العلماء المعاصرين في هذا الصدد خير محاولة ، وقدموا لطلاب العلم مجموعة كبيرة من الكتب التي ألفت في التخريج ، ومن أبرز هؤلاء المحدثين العلامة أحمد محمد شاكر رحمه الله ، المتوفى في العصر الحاضر ، وتخريجه لمسند الإمام أحمد بن حنبل وغير ذلك من الكتب خير دليل على جهوده العلمية المشكورة التي بذلها في هذا السبيل ، ومنهم فضيلة المحقق العلامة عبد الفتاح أبو غده رحمه الله الذي أودع جُلّ مؤلفاته مثل هذه التحقيقات القيمة ، والتخريج للأحاديث والآثار، ، وجهوده رحمه الله غنية عن التعريف ، ومنهم من وقف حياته لمثل هذه الأعمال ، وبرز على مسرح علم الحديث الشريف ، وملأ مكتبات العالم الإسلامي و دور الكتب الدينية بمساعيه الجليلة في فن التخريج خاصة ، واشتهر وذاع صية في سائر العالم لتخاريجه الرائعة ، وإعطائه الموضوع حقه بغاية من الدقة والبراعة والكمال ، وفي مقدمة هؤلاء محدث الديار الشامية العلامة ناصر الدين الألباني حفظه الله تعالى ورعاه لخدمة سنة المصطفى ﷺ ، والدفاع عن حياض المصدر الثاني للشريعة الإسلامية الغراء ، وكتبه حفظه الله ومؤلفاته في هذا الموضوع خير دليل وأروع نموذج

لانتهاجه منهج السلف الصالح في العكوف على خدمة الدين وشغفه الكامل بها ، وفيما يأتي أذكر بعض مؤلفاته في الموضوع يسلط بعض الأضواء على مآثره الحديثية وخدماته الجليلة .

١- غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام في الإسلام .
٢- تخريج أحاديث شرح العقيدة الطحاوية .
٣- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل .
٤- تخريج أحاديث كتاب "الإيمان" لابن أبي شيبة رحمه الله .
٥- تخريج أحاديث كتاب "الصيام" للإمام ابن تيمية رحمه الله .
٦- تخريج أحاديث مشكاة المصابيح للإمام الخطيب التبريزي رحمه الله .

هذا وغيرها من الكتب الحديثية الأخرى ، ومن الكتب غير الحديثية في مختلف الفنون كالفقه وغيره لكن يغلب عليه الطابع الحديثي .

☆ أهمية كتب التخريج :

لا يخفى على أهل العلم ما لكتب التخريج من أهمية بالغة ومرتبة جليلة على اختلاف تصنيفها وتباين مقاصد مؤلفيها ، فقد شرع جماعة من العلماء في تخريج بعض الكتب الفقهية ، والأصولية ، والعقدية ، وبالتالي سنحت الفرصة لعطشى العلم ، وطلاب أحكام الشريعة أن يُرووا غليلهم في كلا المجالين والموضوعين ، موضوع الكتاب ، وما يحتوي عليه من أحاديث الرسول الكريم ﷺ ، ولا شك أن هذه الكتب التي بذل فيها مؤلفوها أقصى جهودهم تدفع المهتمين بدراسة الشريعة والملمين بها إلى أن يكونوا على بينة من أمر دينهم واطلاع واسع على سنة المصطفى ﷺ في جميع شعب الحياة وسائر مجالاتها ، وأن لا يألوا أي جهد في سبيل اتباع ما صح وحسن من أحاديث الرسول الكريم ﷺ وعدم اقتفاء ما نسبه الوضاعون إلى النبي الكريم ﷺ ، وليس منه في شئ ، وهذا كل ذلك إنما يتعرف عليه طلاب العلم عن طريق معرفتهم لطرق الأحاديث المختلفة ، وأسانيدها التي رويت بها ، ومن هنا تزداد قيمة كتب التخريج ، وترتفع مكانتها عالية جداً .

نسأل الله العلي القدير أن يهدينا سبل السلام ويوفقنا لما يحب ويرضى

وصلى الله تعالى على خير خلقه وأفضل عباده محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلم تسليماً

تاريخ الإسلام في القوقاز

بقلم : الدكتور محمد السيد علي بلاسي
(جمهورية مصر العربية)

[٢/الأخيرة]

واعتباراً من القرن التاسع عشر الميلادي تعرض العالم الإسلامي عموماً، والدولة العثمانية على وجه الخصوص وروسيا وأوربا وإيران لمتغيرات هائلة ، كان لها أثرها المباشر على علاقات الدولة العثمانية مع مناطق آسيا الوسطى بعد سقوط القرم وقفقاسيا ، حتى بحر قزوين في يد الروس ، ويأتي على رأس هذه المتغيرات ضعف الدولة العثمانية ، وتقسيم أملاكها إلى مناطق حماية بين الدول الاستعمارية - سقوط الممالك الإسلامية في البقرم والقوقاز، وانفتاح الطريق أمام الروس لاحتلال ممالك آسيا الوسطى الإسلامية (١) .

ومنذ ذلك الحين ، بدأ الروس يعدون العدة لتثبيت دولتهم وبسط سلطتهم ، فتوجهت جيوشهم بوحشية بربرية زاحفة نحو الشرق لإخضاع تلك البلاد الإسلامية الشاسعة ، والقضاء على سكانها الآمنين المطمئنين ، وفعلاً .. وصلت الجيوش حتى أقصى حدود تركستان الكبيرة بعد أن استولوا على كل مدن هذه المملكة ، التي كانت قد تفشى فيها التفكك والانشقاق ، وقيام دويلات تشبه ملوك الطوائف ، وكانت تركستان إذ ذاك مقسمة إلى ست دول : دولة بني أوزبك في ما وراء النهر ، ودولة بني بادكار في خوارزم ، ودولة بني قوندي في الشمال الغربي لسيبيريا ، ودولة أمراء ما نفيت - نوغاي في غربي ولاية قازاقستان ، ودولة سلاطين قازان في الشمال الشرقي لقازاقستان ، ودولة بني جغتاي (روغلات) في تركستان الشرقية ،

(١) المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز : مصطفى دسوقي كسبه : ص/١٢٨-١٢٩ ، هدية مجلة الأزهر ، جمادى الآخرة ١٤١٤هـ .

ثم تجزأت تركستان فيما بعد - إلى ثلاث إمارات : إمارة فرغانة ، وإمارة خيوة ، وإمارة بخارى ، استولى عليها الروس القيصريون على التوالي عام ١٨٧٥م ، وعام ١٨٨٥م ، وعام ١٨٨٦م ، وجعلوها تحت الانتداب ولم تفد مقاومة التركستانيين ضد هذا الغزو الذي دام قرابة أربعين عاماً (١) .

وفي النصف الأول من القرن التاسع عشر ركز القيصر نيقولا الأول (١٨٢٥-١٨٥٥م) جهوده للسيطرة على منطقة القوقاز ؛ ولتحقيق هذا الغرض تم بناء خط من الحصون لمحاصرة هذه القبائل والقضاء على مقاومتها ، وبانتهاء حرب القرم عام ١٨٥٦م ، تم تكثيف الحملات العسكرية ضد الشيخ شامل حتى اضطر إلى الاستسلام في ٢٥/أغسطس ١٨٥٩م (٢) ، ونجح الأمير الروسي باريانسكي في الاستيلاء على حوانيت العاصمة ؛ وكان القضاء على ثورة الشيخ شامل في القوقاز معناه تأمين الوضع العسكري في المنطقة ، فبدأ التقدم الروسي في خانات آسيا الوسطى ، والتي كانت مناطق مجهولة تماماً بالنسبة للدول الأوربية والعالم الغربي حتى أطلق عليها الأرض المجهولة (٣) .

هذا ؛ في الوقت الذي أدرك فيه قياصرة روسيا خطر الإسلام عليهم ؛ حيث اعتبروا أنفسهم الورثة الحقيقيين للإمبراطورية البيزنطية

(١) نصر الله مبشر الطرازي : الجمهوريات الإسلامية في رابطة الدول المستقلة : المجلد الرابع ، ص/١٤ .

(٢) Beazley, Raymand : Russia From The Varangians to Balsheviks, Great Britain, 1918, P.45.

(٣) Morfill, W,the story of Russia, London, 1904, P.32.

وانظر : التوسع الروسي في خانات آسيا الوسطى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر : د/إلهام محمد علي ذهني : ج/٢ ، ص/١٤٨ وما بعدها ، من أبحاث مؤتمر: المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز .

وأنهم حماة المذهب الأرثوذكسي ، وأن عليهم العمل على نشره بزعزعة العقيدة الإسلامية من نفوس المسلمين ، وهذا ما حدث فعلاً بعد إتمام التوسع في منطقة آسيا الوسطى (١) .

ومهما يكن من أمر فقد كانت هذه المتغيرات سبباً في وقوع كل من الدولة العثمانية ، و ممالك آسيا الوسطى تحت النفوذ الاستعماري المباشر ؛ حيث بدأت تتعالى في الآفاق صيحات من هنا وهناك للعودة لرابطة الجامعة الإسلامية من جديد (٢) .

☆ القوقاز تحت نير الشيوعية :

دخلت روسيا وما كانت تسيطر عليه من أراض ، عهداً جديداً في أعقاب نجاح "البلاشفة" بزعامة " لينين" في الاستيلاء على الحكم في نوفمبر ١٩١٧م ، ثم أطلقوا على أنفسهم : "الحزب الشيوعي الروسي" .

وقد خاضت روسيا غمار حرب أهلية (١٩١٨-١٩٢٠م) ؛ أسفرت عن منح روسيا الحكم الذاتي لجمهوريات ، وأقاليم بداخلها ، كان أولها بشكيريا في مارس ١٩١٩م ، وبعد ذلك تتاريا وغيرها ، ثم جمهوريات وأقاليم إسلامية ، وغير إسلامية ، حصلت كلها على الحكم الذاتي .

وكانت جمهوريات القوقاز قد ظهرت كأمر واقع بالفعل منذ عام ١٩٢٠م ، ومنذ ذلك التاريخ تم ضم أربعة أقاليم إلى أرمينيا ، هي : أزوزوم ، وترابزون ، وفان ، وتبليس .

وفي آخر عام ١٩٢٢م أقطع إقليم "نخشيفان " من أرمينيا ، وتم

(١) Bondensted Frederic : Les peuples du Caucase et Levr d'indelendence, contre laRussia, Paris, 1859, P.P1-5.

(٢) المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز : ص/١٢٩ .

ضمه إلى آذربيجان ؛ ليصبح سبباً مستديماً للتوتر بينهما .

وبموت لينين عام ١٩٢٤م ، شهد الاتحاد السوفيتي صراعاً حول السلطة ، حسمه "ستالين " لصالحه ؛ ومن ثم أعلن عام ١٩٢٩م ، ضرورة الإسراع بالتحول إلى الشيوعية التى كان قد اعتبرها بمثابة عقدية (Creed) ، وأطلق عليها "الماركسية - اللينينية" .

ومنذ عام ١٩٣٦م تم تقسيم القوقاز إلى جمهوريات مستقلة ، هي : أرمينيا ، وأذربيجان ، وجورجيا ، وأصبحت أبخازيا ، والإظهار ، وأوسيت أقاليم ذات حكم ذاتي .

وقد شهدت فترة حكم ستالين ، التي دامت حتى عام ١٩٥٣م ، ألواناً من القهر والسخرة في العمل ؛ فقتل عشرات الملايين ، أو طردوا ، أو سجنوا ، أو شردوا ، وتم القضاء على الملكية الفردية ، كما شنق مئات الآلاف ممن أطلق عليهم : "أعداء الشعب " (١) .

وقد تعرض المسلمون خلال تلك الفترة إلى صنوف القهر والتعذيب ، والتشريد ، والتهجير الإجباري ، وإلى تقسيم أراضيهم والاقتطاع منها ، وتهجير الروس والأوكرانيين إليها ، بهدف تغيير التكوين "الديموغرافي" ، والعرقي ، والديني لهذه الأقاليم (٢) .

و من ناحية أخرى فرضت على المسلمين اللغة الروسية كلغة رسمية ، وكلغة للتعامل في كل نواحي الحياة ؛ فانفصل معظم المسلمين عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وعن كتب الفقه ، التي لم تكن مكتوبة باللغة الروسية ... وصار من بقي من علماء المسلمين المسنين يعلمون الإسلام

(١) Gabriel A.Almond and Bingham, R., comarative politics today, 3rd ed., 1984, P.302.

(٢) المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز : ص/١٥٣ ، نقلاً عن د/فوزي طايل .

لمن يتيسر له ذلك سراً !! (١) .

وزاد الطين بلة ، عند ما مارس الروس نشر الأيديولوجية الإلحادية بين صفوف المسلمين ، مع تجذير الثقافة الشيوعية بالإضافة إلى تحطيم نظام الأسرة القوي المتماثل لدى المسلمين ، وإطالة وقت عمل المرأة بين الرفاق ، ومنع الدراسة الدينية وتدريس اللغة العربية منعاً باتاً ، ومنع الكتابة بالحرف العربي ، وقد حول الحرف أولاً إلى اللاتيني ، ثم حول بعد ذلك إلى الحرف الروسي .

وقد أوجد الروس الثغرة القوية بين مسلمي روسيا مع أن الفكر الشيوعي يصطدم أساساً مع القوميات ؛ ولهذا قسم الروس المناطق الإسلامية إلى ست جمهوريات ، وجميعها محكومة بالمستعمر الروسي المتمثل في سكرتير الحزب الشيوعي في كل منطقة من هذه المناطق .

واسم جمهورية ليس إلا مجرد اسم والواقع المر أنها مستعمرات روسية يدير شئونها موظفون من موسكو ؛ ولهذا فإن سياسة روسيا تعتمد على أن يكون السكرتير الأول ، والثاني في كل جمهورية من هذه الجمهوريات الإسلامية روسيا وليس محلياً مهماً تظاهر بالشيوعية .

وكان تولي المسلمين للمناصب العامة أدنى كثيراً من نسبتهم الحقيقية إلى كل الشعوب السوفيتية (٢) .

وقد ساعد على تمكن السلطات السوفيتية من السيطرة على بلاد المسلمين في وسط آسيا والقوقاز ؛ انضمام بعض المسلمين ، ممن تأثروا

(١) دائرة المعارف البريطانية : ص/١٠٨٩ .

(٢) د/محمد عبده يماني : مسلمو آسيا الوسطى بين محنة الحاضر وتحديات المستقبل ، مؤتمر المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز ، المجلد الثامن ، ص/٩ .

بالثقافة الروسية ، و تعلموا في مدارسهم وجامعاتهم ، لأكثر من ثلاثين عاماً ، انضمامهم إلى الحزب الشيوعي ، ومن ثم تولوا مناصب هامة في بلادهم ، وأصبح ولاؤهم للسلطات السوفيتية (١) .

هذا وبعد أن حاصر الألمان الروس في أوربا أيام الحرب العالمية الثانية و وصلوا إلى ١٥٠/كم قرب موسكو ، وحاصروا لننكراد (بطرسبورغ الحالية) وقطعوا طريق الوصول إلى جمهوريات القوقاز ؛ نقل الروس مصانعهم الضخمة التي تنتج الصناعات الثقيلة والحربية إلى أراضي جمهوريات آسيا الوسطى السوفيتية ، بما أنهم كانوا في حاجة إلى مزيد من الجنود للدفاع عن الاتحاد السوفيتي المهدد بالألمان ؛ فقد منحوا نوعاً من الحرية الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وسمحوا بفتح مسجد في كل مدينة كبيرة كثيفة السكان ، وفي عام ١٩٤٤م أسست في مدينة باكو الإدارة الدينية لمسلمي ما وراء القوقاز ، وهي تدير شؤون المسلمين من الشيعة والسنة في آذربيجان وجورجيا .

وكان رؤساء مثل هذه الإدارات الدينية من دعاة الإسلام المستضعفين المضطرين لطاعة أوامر موسكو (٢) .

ومؤخراً حدث ما لم يكن في الحسبان ؛ حيث أخذت قوة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية تتجه إلى الهبوط حتى وصل الأمر إلى أن انهار الاتحاد السوفيتي .

وفي الثامن من ديسمبر ١٩٩١م ، أعلن رؤساء ثلاث جمهوريات سوفيتية في خطوة غير مسبوقة إنشاء كومنولث جديد ونهاية الاتحاد السوفيتي (٣) .

﴿ و يأبى الله إلا أن يُتمّ نوره * و لَو كره الكافرون ﴾

(١) دائرة المعارف البريطانية : ص/١٠٨٩ .

(٢) تصر الله مبشر الطرازي : الجمهوريات الإسلامية في رابطة الدول المستقلة .. ماضيها وحاضرها ، ج/٤ ، ص/١٩ .

(٣) المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز : مصطفى دسوقي كسبه : ص/٩٦ .

الإسلام في "لداخ"

عبد الغني شيخ اللداخي
تعريب : محمد قيصر حسين الندوي

إن أرض لداخ ظلت منذ قرون مهداً للاسلام ، ومسرحاً لمذهب بوذا ، كانت ترتج جبالها وشعابها وأوديتها بأصوات الآذان ، تبلغ مساحتها مع أقصى الصين إلى خمسة وتسعين ألف مربع "كم" ، لكن الصالحة للزراعة والنشاطات الاقتصادية منها ليست إلا عشرين وست مائة مربع "كم" ، وأما الباقية فهى مشتملة على سلاسلها الجبلية ، ومضيقاتها وميادينها الجرداء التي لا تصلح للزراعة والعمران البشري لعلوها و برودتها القارسة ، وهي تعرف بملامحها الجغرافية بأرض القمر (Moon land) ''وبلد ساحر'' (Magic land) ، وبسقف الدنيا ، كما عرفت في تاريخها الطويل بأسماء مختلفة ، فسماها عدد كبير من المؤرخين بالتبت الصغيرة ، وبالتبت الغربية ، نسبة المسلمين في عمرانها البالغ إلى مأتي ألف ٥٢٪ ، والباقون أتباع بوذا وعدة مائة من النصارى .

إنها تشتمل على مديريتين : ١- ليه (LEH) ، ٢- كرغل (KARGIL) ، أما مديرية "ليه" فالأغلبية فيها للبوذيين ، ومديرية كرغل فالأغلبية فيها للمسلمين ، وإن كرغل هي أكثر عمراناً من "ليه" إلى حد ما ، ويبلغ عدد المسلمين في "ليه" نحو ٢٠٪ ، ويسكن المسلمون في خمس وعشرين قرية من قرى "ليه" البالغة إلى اثنتي عشرة ومائة قرية (١١٢) الأغلبية في خمس وعشرين منها للمسلمين ، وقد قل عددهم إلى حد ما في عدة منها نتيجة لهجرة بعضهم إلى باكستان عند انقسام الهند إليها ، إن عمران لداخ المسلم

يشتمل على أهل السنة والجماعة والشيعة ونور بخشي ، المسلمون من أهل السنة والجماعة يعتنقون مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله ، ويبلغ عدد المساجد للمسلمين من أهل السنة والجماعة في منطقة لداخ إلى نحو أحد عشر ومائة مسجد (١١١) ، وإن مسجد "ليه" التاريخي هو أكبر المساجد للداخ ، كذلك توجد مآت من المساجد في كرغل ، كما توجد في عاصمة ''زنكار'' القاصية ''بدم'' ثلاثة مساجد لمائة أسرة ، منها مسجد جامع ، وثلاثة مساجد في القرية المعروفة ''ببانكير'' ، والمسجد الجامع ''لليه'' بني قبل ثلاث وثلاثين وثلاث مائة سنة/٣٣٣ في (سنة ٦٦-١٦٦٧م) طبقاً لاتفاقية تمت بين الإمبراطور أورنك زيب عالمكير ، وحاكم لداخ ''ويلدن نغيل'' ، وكانت لداخ وقتئذ خاضعة للهند ، وكانت الحكومة المغولية تضمن باستقلالها وأمنها وسلامتها .

كان فن بناء المسجد في البداية لداخياً وتبتياً ، لكنه قد تغير اليوم بفن إسلامي متمثل في قبة ومنارة ، ويوجد في القرية مسجد صغير أقدم من المسجد الجامع ، فدعت الحاجة إلى بناء مسجد كبير نظراً إلى قدوم التجار الوافدين من آسيا المركزية وكشمير ، ونتيجة لازدياد العمران الإسلامي ، أُدخلت توسعة في المسجد الحالي ، والجدير بالذكر أن المسجد الجامع فيه تذكار للشيخ مير السيد علي ، إن الروايات التاريخية ، تقول : إنه كان يعبد الله تعالى في مكانه قبل نحو ثلاثة قرون من إنشائه ، وينسب إليه بناء مسجد "شي" أيضاً ، الذي يبعد من "ليه" نحو خمسة عشر "كم" بهذا الاعتبار كان هذا المسجد هو أقدم المساجد للداخ ، وأن الشيخ مير السيد علي كان قد رحل إلى تركستان الصينية مروراً بلداخ .

إن أول من جاء برسالة الإسلام الخالدة السرمدية إلى لداخ ، هو حضرة الشيخ السيد علي الهمداني المعروف بشاه همدان أيضاً ، كما تدل على ذلك الروايات التاريخية المنقولة جيلاً عن جيل ، وبيانات مؤرخي

كشمير ، وقد قام فيها بالدعوة والتبليغ والإصلاح والإرشاد ، وبنى عدداً من المساجد فيها ، والبروفيسور مجيب ، يقول : إنه قد بني مسجداً في عاصمة "زنكار" "بدم" ، وطبقاً للروايات فإن الشيخ قد شرف بقدومه الميمون بلتستان أيضاً ، وإن أقدم المساجد الموجودة في مناطقها يرجع إليه الفضل في بنائها .

ولما كانت لداخ ، بلتستان ، ومناطق "غلغت" كلها من الصين والتبت وآسيا المركزية مركزاً للمعارك الدائرة بين العرب وكشمير ، كانت توجد في لداخ تحركات وتنقلات لجيوش العرب وتجارها ، وقد وجدت آية قرآنية وأسماء للعرب منحوتة في صخرات منطقة لداخ المعروفة "بتانكج" ، ومن أهم هذه الأسماء : ناصر بن صالح ، أبو منصور ، أبو الآيات ، زكريا ابن القاسم ، والجدير بالذكر أن هذه الأسماء السالفة ذكرها توجد في معارك لآسيا المركزية في عهد سياستها .

إن الإسلام قد نمى وذاع صيته نتيجة لانتشاره وشيوعه فيما جاورها من المناطق والبلدان ، وقد فتح الجنرال العربي الشهير المعروف بابن قتيبة في ٧٠٥م ، حصن تركستان في عهد الخليفة وليد بن عبد الملك ، وفي ٧٥١م انتصر العرب على الجيوش الصينية على نهر طالاس هزيمة منكرة قاضية ، وقضوا على احتلال الصين لآسيا المركزية ، وفي القرن التاسع المسيحي أشرفت آسيا المركزية كلها بالاسلام .

يوجد أول ذكر للاسلام في لداخ في عهد الخليفة العباسي المامون (٨٣٣-٨١٣م) وتوجد كلمة شكر لله في لوحة عثر عليها في أفغانستان على ما أكرم به من فتوحات التبت وبلتستان ، وكان الخليفة المهدي ، قد طلب الجزية من التبت ، ذكر مؤرخو العرب التبت في كتبهم : كاليعقوبي ، والطبرى ، وابن خلدون ، والبيروني ، والمسعودي وغيرهم ، وكانت لداخ في تلك الأيام ، جزءاً من التبت .

لقد نال الإسلام انتشاراً في كشمير في القرن الثالث عشر ، و يرجع

الفضل في ذلك إلى الرجل الصالح المتقي السيد شريف الدين ، الذي كان ينتمي إلى تركستان الصينية ، وأول من تشرف بالإسلام على يده المباركة ، هو الأمير اللداخي "رفجن شاه" ، وكان أول حاكم مسلم تولى الحكم في كشمير اسمه السلطان صدر الدين ، وفي إبان القرن السادس عشر اعتنق عامة الأمراء والحكام لبلوتستان الإسلام ، وهكذا أورق شجر الإسلام الذي كان قد غرسه السيد شاه همدان في لداخ ، وسقاه السيد نور بخشي الذي قدم إلى بلوتستان و كرغل ، و قام فيها بأعمال جليلة في مجال الدعوة والتبليغ ، و وصل إليها مير شمس الدين العراقي بعد مرور خمس سنوات على قدوم الشيخ نور بخشي ، وكان يعتنق مذهب الشيعة فتشيّع عدد كبير أهل بلوتستان وكرغل .

وقد دعا الرؤساء البليتيون علماء كشمير وآسيا المركزية ، ودعاتهما ومبلغيهما حيناً بعد حين لتعليم أولادهم ، وتعريف رعاياهم بالعلوم الدينية والتعاليم الإسلامية ، وزوجوهم ببناتهم وأعطوهم الأراضي للسكن والتسهيلات اللازمة الأخرى .

وأصبحت لداخ في عد الإمبراطور الملك شاهجهان خاضعة للهند ، لقد دعا أمراء لداخ المسلمين من كشمير وغيرها من البلدان الأخرى للقيام بأمور مختلفة في لداخ ، وكان بين هؤلآء الوافدين ، المجيدون للفارسية والمترجمون والكتاب ، قد وطن الأمير اللداخي المعروف بجميالغ غفيل سبعة تجار مسلمين في "ليه" ، وكانت لهم امتيازات ومراعاة خاصة ، وكانوا معروفين بتجار الملك ، وقد استوطن كثير من التجار الوافدين من آسيا المركزية ، وكشمير وكشتورا ، ومن مناطق الهند المختلفة "لداخ" ، وتزوج معظمهم باللداخيات ، مسلمو "ليه" ، وما جاورها من القرى من أهل السنة والجماعة من أولادهم ، ويبلغ عددهم إلى الآلاف ، كما انتقل مآت من أفراد "بلتي" من بلتستان إلى لداخ ، واستوطنوا قريباً من "ليه" ، وانضموا إلى المجتمع اللداخي مسكناً وملبساً ومطعماً ، وتعلموا اللغة اللداخية غير أنهم تمسكوا بالدين الإسلامي غاية التمسك ، وعضوا عليها بالنواجذ .

لقد أنشأ المسلمون في ١٨٦٩م في "ليه" كتاباً تدرس فيها العلوم الدينية والتعاليم الرائجة ، ثم فتحت مدرسة ابتدائية ، وفي الوقت الراهن توجد في "ليه" عديد من المدارس ، والمؤسسات التعليمية الأهلية للمسلمين ، منها ثانوية إسلامية شعبية (وسيلة التعليم فيها اللغة الإنجليزية) (Islamia Public English Medium High School) ، ومنها ثانوية إسلامية (Islamia English Medium School) (وسيلة التعليم فيها اللغة الإنجليزية) ، وأسست في الثلاثينيات لجنة فلاحية للمسلمين باسم : "لجنة معين الإسلام" ، وأسس الشيعة لجنة إمامية ، والجدير بالذكر أن نسبة التعليم في الجيل المسلم الناشئ نحو ١٠٠/١٠٠ ، ويدرس أكثر من عشرين طالباً وطالبةً مسلمةً في المؤسسة التكنيكية والتعليمية خارج لداخ ، وأول مرة أسست مدرسة دينية باسم : "علوم القرآن" في القرية المعروفة "بتكسى" الواقعة قريبة من "ليه" قبل ثلاث أو أربع سنوات ، تدرس فيها العلوم الدينية مع تحفيظ القرآن الكريم ، وسوف تدرس فيها علوم القرآن الكريم والحديث الشريف في المستقبل - إن شاء الله تعالى - .

لقد أنجب المسلمون في القرون الثلاثة أو الأربعة علماء ومغامرين وبنائين ومجاهدين للحرية وشعراء وخطباء وأطباء ، وإن المسلمين اللداخيين قد لعبوا دوراً هاماً فعالاً في الأدب واللغة والأطعمة اللداخية ، وخاصة في النهضة الاجتماعية ، كما يلعب دوراً ملموساً حالياً علماء وفضلاء ، ومتخرجون في دار العلوم التابعة لندوة العلماء الشهيرة التي طبق صيتها في العالم كله ، ومتخرجون في المؤسسات التعليمية الأخرى ، وعلماء محليون ، ومتخرجات في مدرسة البنات الواقعة في "ماليغاؤن" في تعريف اللداخيين بالإسلاميات ، وإيقاظ روح الوعي الديني ، والشعور الإسلامي فيهم ، ويبذلون قصارى جهودهم في تنفيذ هذه المهمة المؤثرة ، ولله المن والفضل والحمد والشكر على ما تترتب على ذلك من نتائج ملموسة طيبة مرجوة .

☆☆☆

طلاق السكران

[٢/الأخيرة]

بقلم : فضيلة الشيخ محمد مصطفى عبد القدوس الندوي
الأستاذ في المعهد العالي الإسلامي - حيدرآباد

☆ نظرة على أدلة القائلين والمانعين :

نلمس أدلة القائلين بالوقوع والمانعين ، ونلقى عليه نظرة نقدية منصفة ، أولاً نلاحظ أدلة القائلين :

١- والدليل الأول عموم قوله عزوجل : ﴿ الطلاق مرتان .. إلخ ﴾ ، فقد قال ملك العلماء الكاساني بعد ذكر الآية : "إلا من خص بدليل" (١) ، وقد مرت الأدلة آنفاً من الآية والحديث ، والآثار التي هي تدل على عدم وقوع طلاق السكران ، ثم الشرط الأساسي من شرائط تكليف الشرع أن يكون سليم العقل ، والسكران الذي نبحث في صدده أنه لا يملك عقلاً سليماً مميزاً .

٢- وأما الدليل الثاني أن السكران مكلف ، فباطل ، لأن النهي في الآية ، إنما هو عن أصل السكر الذي يلزم منه قربان الصلاة كذلك ، وقيل : إنه نهي للثمل الذي يعقل الخطاب ، وأيضاً قوله في آخر الآية : ﴿ حتى تعلموا ما تقولون ﴾ دليل على أن السكران يقول ما لا يعلم ، ومن كان كذلك ، كيف يكون مكلفاً ، وهو غير فاهم ؟ والفهم شرط التكليف كما تقرر في الأصول (٢) ، وانعقد الإجماع عليه أيضاً (٣) ، وأما إلزامه بجناياته ، فمحل نزاع لا محل وفاق ، فقال عثمان البتي : لا يلزمه عقد ، ولا بيع ،

(١) البدائع : ١٥٩/٣ .
(٢) المجموع : ٦٣/١٧ .
(٣) زاد المعاد : ٢١٢/٥ .

ولا حد الإحد الخمر فقط ، وهذا إحدى الروايتين عن أحمد رحمه الله أنه كالمجنون في كل فعل يعتبر له العقل ، ولأن إسقاط أفعاله ذريعة إلى تعطيل القصاص ، إذ كل من أراد قتل غيره أو الزنا أو السرقة أو الحراب ، سكر وفعل ذلك ، ولأن إلغاء أفعاله ضرر محض ، وفساد منتشر بخلاف أقواله (١) .

٣- وحديث : "ثلاث جدهن جد ... إلخ" (٢) ، يقتضي عمومه أن يقع طلاق المجنون والنائم ، ولم يقله أحد من الأئمة ، بل ينفيه حديث عائشة رضي الله عنها : "رفع القلم عن ثلاثة عن النائم ، حتى يستيقظ ، وعن الصبي ، حتى يكبر ، وعن المجنون ، حتى يعقل" (٣) ، فعلم أن حديث : "ثلاث جدهن جد .. إلخ" يتقيد بمن كان يعقل ويتلفظ الطلاق قصداً .

٤- ومما لا شك فيه أن السكران لم يذكره الحديث فيمن رفع القلم منه ، ولكن تنتج العلة منه ، وهي أن طلاق النائم والمجنون لايقع بما لا يصدر منهما قصد صحيح ، وفهم صالح ، وهذه العلة تتعدى إلى السكران أيضاً ، فبناء عليه يقال : إن السكران لا يدخل فيمن رفع القلم منه بصراحة ، ولكن يدخل دلالةً وحكماً .

٥- وأما حديث : "لا قيلولة في الطلاق" فقال العلامة ابن القيم :

"فخبر لا يصح ، ولوصح لوجب حمله على طلاق مكلف يعقل دون من لا يعقل ، ولهذا لم يدخل فيه طلاق المجنون والمبرسم والصبي (٤) .

أخرجه العقيلي ، وابن الجوزي ، وابن حزم ، وابن أبي حاتم كلهم من طريق الغازي بن جبلة الجبلاني عن صفوان الأصم الطائي ، قال العقيلي : قال البخاري : الغازي بن جبلة : حديثه منكر في طلاق المكره ،

(١) زاد المعاد : ٥/٢١٢-٢١٣ . (٢-٢) تقدم تخريجه .

(٤) زاد المعاد : ٥/٢١٤ .

وكذا ذكره ابن الجوزي عن البخاري ، و زاد : لا يتابع عليه ، و قال أبو زرعة : هذا حديث واه جداً ، وزاد الزيلعي في نصب الراية (١) : لا يتابع عليه ، وعن ابن القطان ، قال : لا يعرف هذا الحديث إلا بالغازي بن جبلة ، ولا يدري (٢) ، وقال العلامة ابن القيم :

"أما خبر الغازي بن جبلة ، ففيه ثلاث علل : إحداها : ضعف صفوان بن عمرو ، والثانية : لين الغازي بن جبلة ، والثالثة : تدليس بقية الراوي عنه ، ومثل هذا لا يحتج به ، قال أبو محمد ابن حزم : وهذا خبر في غاية السقوط" (٣) .

٦- وأما حديث أبي هريرة ﷺ ، فقال الإمام الترمذي في صدده : "هذا حديث لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث عطاء بن عجلان ، و عطاء بن عجلان ضعيف ذاهب الحديث" (٤) .

وقال العلامة ابن القيم : وأما حديث ابن عباس ﷺ : "كل الطلاق جائز" فهو من رواية عطاء بن عجلان ، و ضعفه مشهور ، وقد رُمي بالكذب ، قال أبو محمد بن حزم : وهذا الخبر شر من الأول" (٥) .

وأما أثر علي ﷺ ، فروى بخلافه أثر عثمان ﷺ ، وابن عباس ﷺ في رواية ، وكلهم أصحاب رسول الله ﷺ .

٧- قال العلامة ابن القيم : "فهو خبر لا يصح البتة ، وقال أبو محمد ابن حزم : و هو خبر مكذوب ، قد نزه الله علياً ، و عبد الرحمن بن عوف منه ، وفيه من المناقضة ما يدل على بطلانه فإن فيه إيجاب الحد على من

(١) نصب الراية : ٣/٢٢٢ . (٢) حاشية فتح القدير : ٣/٤٧١ .

(٣) زاد المعاد : ٥/٢٠٨-٢٠٩ .

(٤) الترمذي ، باب ما جاء في طلاق المعتوه : ١/٢٢٦ ، ط/ديوبند ، الهند .

(٥) زاد المعاد : ٥/٢٠٩

هذى ، والهاذى لا حد عليه" (١) .

٨- وأما الدليل السابع : وهو : "أن الصحابة رضي الله عنهم أوقعوا عليه الطلاق" ؛ فالصحابة مختلفون ، فصح عن عثمان ﷺ ما حكيناه عنه ، وأما ابن عباس ﷺ ، فروي عنه قولان مضادان يعني الوقوع ، وعدم الوقوع أيضاً ، ثم انتماء الحكم إلى عمر ﷺ مستبعد ، لأن الحكم بوقوع الطلاق بشهادة أربع نسوة يعارض أصول الشهادة التي قررها القرآن على وجه العموم لإثبات الدعوي ، وهي شهادة رجلين ، أو رجل وامرأتين .

٩- والدليل بأن السكران عاص بفعله .. الخ ، فأجاب الإمام الطحاوي : إنها لا تختلف أحكام فاقد العقل بين أن يكون ذهاب عقله بسبب من جهته أو من جهة غيره ، إذ لا فرق بين عجز عن القيام في الصلاة بسبب من الله أو من قبل نفسه كمن كسر رجل نفسه ، فإنه يسقط عنه فرض القيام .

وأجاب ابن المنذر عن الاحتجاج بقضاء الصلوات بأن النائم يجب عليه قضاء الصلاة ولا يقع طلاقه ، لأنه غير مكلف حال النوم بلا نزاع (٢) .

١٠- وأما الدليل العاشر العقلي أن إيقاع الطلاق عقوبة وزجر عن ارتكاب المعصية ، فهو ضعيف للغاية ، لأن الحد يكفيه عقوبة و زجراً و توبيخاً ، و قد حصل ، ثم العقوبة بالطلاق ، و التفريق بين الزوجين لا عهد لها في الشريعة (٣) ، ولا نظير فيها ، لجريان الحديث على معصية واحدة ، ثم في العصر الراهن لا يكون زجراً و ردعاً ، كما يدل عليه التجارب والمشاهدات ، بل يصير إيقاع الطلاق عقوبة للمرأة المسكينة التي لم تقترف معصية ، و لا تقصير لها ، و هي تبقي مطلقة ، و تعيش

(١) زاد المعاد : ٥/٢١٣-٢١٤ .
(٢) المجموع شرح المهذب : ١٧/٦٤ .
(٣) زاد المعاد : ٥/٢١٣ .

بلا زوجها حياة مريرة .

١١- وأما الدليل الحادي عشر أن إيقاع الطلاق به من ربط الأحكام بالأسباب ، فقال العلامة ابن قيم :

"ففي غاية الفساد والسقوط ، فإن هذا يوجب إيقاع الطلاق فيمن سكر مكرها أو جاهلاً بأنها خمر ، وبالمجنون والمبرسم ، بل وبالنائم ، ثم يقال : وهل ثبت لكم أن طلاق السكران سبب حتى يربط الحكم به ، وهل النزاع إلا في ذلك ؟" (١) .

وقال الإمام النووي : "وإن قلتم إنه إيقاع اللفظ من العاقل الذي يفهم ما يقول ، فالسكران غير عاقل ولا فاهم ، فلا يكون إيقاع لفظ الطلاق منه سبباً" (٢) .

وأما أدلة المانعين ، فالنصوص كلها ثابتة صحيحة ، والدليل القياسي أن لا يعتبر الطلاق إلا إذا وقع بالإرادة الصحيحة والوعي المتوافر ، والسكران لا يملك كليهما ، وأما الدليل العقلي الآخر : "أن السكران له حد ثمانون جلدة ، وإيقاع الطلاق عليه عقوبة أخرى زجراً له ، فلا مساغ لضمها ، لأنه يكفي حد السكر للزجر والردع ، بل شرع لأجله" ، فيه نظر، لأنه يوجد في الفقه الإسلامي نظائر تخالفه (٣) ، منها قاتل مورثه يحرم الميراث زجراً له ، وعقوبة عليه (٤) ، ويقتل أيضاً في القصاص .

وأجاب عن الدليل السابع ملك العلماء الكاساني، ففرق بين السكران بالدواء والبنج والسكران بسبب هو معصية ،فيقول : "بخلاف ما إذا زال بالبنج والدواء ، لأنه ما زال بسبب هو معصية ، إلا أنه لا تصح ردة

(١) المصدر السابق ، انظر أيضاً المجموع : ١٧/٦٤ .
(٢) المجموع : ١٧/٦٤ .
(٣) الأشباه والنظائر لابن نجيم المصري .
(٤) البدائع : ٣/١٥٩ .

السكران استحساناً نظراً له ، لأن بقاء العقل تقديراً بعد زواله للزجر ، وإنما تقع الحاجة إلى الزاجر فيما يغلب وجوده ، لوجود الداعي إليه طبعاً ، والردة لا يغلب وجودها ، لانعدام الداعي إليها ، فلا حاجة إلى استبقاء عقله فيها للزجر ، ولأن جهة زوال العقل حقيقة يقتضي بقاء الإسلام ، وجهة بقائه تقديراً يقتضي زوال الإسلام ، فيرجح جانب البقاء ، لأن الإسلام يعلو ، ولا يعلى عليه ، ولهذا يحكم بإسلام الكافر إذا أكره على الإسلام ، ولا يحكم بكفر المسلم إذا أكره على إجراء كلمة الكفر ، فأجرى وأخبر أن قلبه كان مطمئناً بالإيمان ، كذا هذا" (١) .

والدليل الثامن القياسي يوافق العقل وأصول الإسلام .

ويتضح من مجموع ما سبق من الأقوال مع الأدلة للفريقين ، والمقارنة النقدية بينها أن لا يقع طلاق السكران ، وبه نأخذ مع الاعتراف بقصور علمنا ، والله أعلم بالصواب .

☆ طلاق من سكر مكرهاً أو مضطراً :

لو أكره على شرب مسكر حرام أو أكله ، فسكر وطلق ، فلا يقع عند الأئمة الثلاثة (٢) ، وهو الصحيح عند الأحناف (٣) ، لما روي عن ابن عباس أنه قال : طلاق السكران والمستكره ليس بجائز (٤) ، وقال الحافظ ابن حجر في شرحه ، قوله : "ليس بجائز" أي بواقع ، إذ لا عقل للسكران المغلوب على عقله ، ولا اختيار للمستكره (٥) .

(١) البدائع : ١٥٩/٣ .

(٢) فتح القدير : ٤٧٣/٣ ، والفقه الإسلامي وأدلته : ٦٨٨٣/٩ ، وفتح الباري : ٤٨٩/٩ ، ط/المكتبة الأشرفية - ديوبند .

(٣) فتح القدير : ٤٧٣/٣ ، البحر الرائق : ٢٤٧/٣ ، الدر المختار ورد المحتار : ٤٤٧/٤ .

(٤) البخاري ، باب الطلاق في الإغلاق : ٧٩٣/٢ .

(٥) فتح الباري : ٤٤٧/٤ .

ولأن الشرع جعل كلمة المكره المسلم ملغى ، واعتبر ما في قلبه ، كما قال الله عزوجل في شأن من أكره على الكفر :

وأما إذا كان مضطراً إلى شرب مسكر أم حرام أو أكله ، فسكر وطلق ، فلا يقع طلاقه باتفاق المذاهب الأربعة المشهورة المتبعة في معظم العالم كله (١) ، لأن الله سبحانه وتعالى قد أباح الحرام عند الاضطرار ، فقال بعد ذكر المحرمات : ﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد * فلا إثم عليه ﴾ (٢) ، وقال عزوجل : ﴿ فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم ﴾ (٣) ، فكان سكره بسبب مباح دون معصية ، وحينئذ لا يقع الطلاق على قول من يعتبر طلاق السكران أيضاً (٤) .

☆ طلاق من سكر بأكل مباح أو الدواء :

وإن سكر بأكل الدواء ، أو أكل شيئاً مباحاً للتداوي ، فسكر سكراً غلب على عقله ، فلا يقع طلاقه بلا اختلاف بين الفقهاء (٥) ، وعلى قول المانعين لا حاجة إلى ذكر وجهه ، وأما على قول القائلين ، فلأنه لم يكن معصية (٦) ، وإن سكر بأكل مباح للهو واللعب واللذة وإدخال الآفات دون التداوي ، فلا يقع طلاقه أيضاً عند المانعين ، لأنه إذا لم يقع بأكل مسكر حرام عندهم ، فلا يقع بأكل مباح بطريق أولى ، واختلف القائلون : فقال بعضهم :

(١) فتح القدير : ٤٧٣/٣ ، والبحر الرائق : ٢٤٧/٣ .

(٢) سورة البقرة .

(٣) سورة المائدة .

(٤) فتح القدير : ٤٧٣/٣ .

(٥) البحر الرائق : ٢٤٨/٣ ، المجموع شرح المهذب : ٦٣/١٧ .

(٦) البحر الرائق : ٢٤٨/٣ .

يقع ، لأنه صار معصية بقصده اللهو واللعب (١) ، وقال بعضهم : لا يقع ، وبه أخذ العلامة الحصكفي ، والعلامة ابن عابدين الشامي (٢) .

☆ خلاصة البحث : يتخلص البحث فيما يلي :

١- السكر عند الأئمة الثلاثة ، والأحناف على الراجح سرور يغلب على العقل فيهذى في كلامه .

٢- أحوال السكر ثلاثة :

ألف- أن يفهم ما يقول ويميز بين الرجل والمرأة ، ويحفظ بعد ذهاب السكر ما قال حالة النشوة .

ب- أن تكون أقواله غير منتظمة ، وأحواله غير منضبطة .

ج- أن لا يستطيع أن يميز بين الرجل والمرأة ، ولا السماء من الأرض .

وفي الحالة الأولى يقع طلاقه بالاتفاق ، وفي الثانية والثالثة خلاف بين الفقهاء ، ولكن على الراجح لا يقع .

٣- لا يقع طلاق من سكر مكرهاً أو مضطراً عند الأئمة الثلاثة ، والأحناف على الصحيح .

٤- كذلك لا يقع طلاق من سكر بأكل مباح للتداوي بالاتفاق ، وللذة وغيرها على الاختلاف ، والراجح أن لا يقع أيضاً ، كذلك لا يقع طلاق من سكر بالدواء . [والله أعلم بالصواب]

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) البحر الرائق : ٢٤٨/٣ ، وفتح القدير : ٤٧٣/٣ .

(٢) الدر المختار و رد المحتار : ٤٤٧/٤ .

﴿ إنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها ﴾

خطر الجفاف على المستقبلية العالمية

بقلم : الدكتور إبراهيم الراوي
(دكتوراه في الطب والجراحة ، العراق - بغداد - المأمون)

ينهمك اليوم علماء البيئة والاقتصاد بما ستتعرض له بلاد الشرق الأوسط من شحة المياه ، وقلة الأمطار ، وتحول الأراضي الزراعية الخضراء إلى قاعٍ صفصفٍ ، ومساحاتٍ قاحلةٍ إلى صحاري ميتة (ظاهرة التصحير) حيث أعلن فريق من العلماء المختصين في أمريكا اليوم ، تناقلته وكالات الأنباء العالمية : إن ربع القرن القادم ربما يكون فترة حرجة في تاريخ الشرق الأوسط من احتمال احتباس الأمطار ، وظهور الأزمة الاقتصادية المحتملة من جفاف الأنهار ، ودمار المزارع والبساتين ، وتعرض الماشية إلى المجاعة من قلة العلف الأخضر ، وجفاف المراعي الطبيعية ، وقلة الغذاء ، إن ارتفاع درجات حرارة الكرة الأرضية لهذا العام أحدث في المناطق القريبة على خط الاستواء اضطراباً في نظام حركة الرياح ، وتشكل الغيوم ، وهطول الأمطار، وقد سببت قلة تساقط المطر في طهران إلى شحة مياه نهر ديالي القادم من الأراضي الإيرانية إلى العراق ، وانخفاض منسوب مياه بحيرة دربندي خان العراقية ، كما سببت قلة تساقط الثلوج في الشمال العراقي إلى شحة الينابيع والروافد التي تصب في نهر دجلة في العراق ، كما سبب ارتفاع درجة الحرارة إلى خفض مناعة المواشي ضد الأمراض ، وتفشي الأمراض

الوبائية ، حيث ظهر ولأول مرة في تاريخ العراق نوع خطير وقاتل من مرض الحمى القلاعية (Mouth & Foot Disease) الذي انتشر بين الأبقار والأغنام والماعز مسبباً هلاكات وبائية أدت إلى تدمير الثروة الحيوانية ، بشكل عنيف ، والذي زاد في خطورة الموقف عدم توفر اللقاحات الوقائية ضد المرض ، إن الجفاف وقلة العلف الأخضر يؤدي إلى ضعف الحيوانات وبشكل هُزالا يفقده القدرة على مقاومة الأمراض ، كما سببت الاضطرابات الحرارية حدوث عواصف ترابية خطرة غمرت قسماً من قارة آسيا وإفريقيا ، وحجبت الرؤية وأشعة الشمس ، وعطلت حركة السير والملاحة البحرية والجوية ، ومنعت رائد المنطاد الذي دار حول العالم الهبوط عند إهرام مصر كحدث تاريخي فريد بدون توقف أو تزود بالوقود ، وأدى الغبار إلى تدمير المحاصيل الزراعية والبساتين حيث غطى الأوراق الخضراء ، وحجب عنها أشعة الشمس ، وعطل عمليات التمثيل الكلوروفيلي ، وقضى على نمو المراعي الطبيعية ، والمزارع المنتجة لمحصول العلف الأخضر ، وأدى إلى مجاعة المواشي وضعفها ، وموت الأجنة داخل أرحام الأمهات الحوامل بسبب "فيروس الحمى القلاعية القاتل" (M.F.D. Virus) ، وهلاكات العجول الصغيرة عند رضاعتها من لبن الأم المصابة ، وتلوثه بالفيروسات ، لذا كان لزاماً على المربين عزل الصغار عن أمهاتهم ، وغلي الحليب وتبريده ، ومن ثم يقدم إلى العجول الرضع ، كما قتل الفيروس الأمهات النحيفات بسبب المجاعة ، وقلة الغذاء اللازم ، وقد سبب المرض لهذا العام موت أعداد هائلة من البقر والأغنام والماعز ، وقد أدى ارتفاع درجة حرارة العالم لهذه السنة إلى إطالة فترة الخريف ، وعدم تساقط أوراق الأشجار النفضية للفاكهة بسبب عدم قدوم شتاء بارد مما أدى إلى تعطيل الأعمال الزراعية ، واضطراب نظام نقل الأشجار والتقليم

والتطعيم ، إن شجرة التوت الشهيرة بغزارة نمو أوراقها و أغصانها ، و شدة مقاومتها للأمراض والعطش ، وطول عمرها حيث تعد من الأشجار المعمرة لمئات من السنين ، تستخدم في بعض البلدان الحارة كالهند والباكستان كعلف جيد ، ومركز للمواشي ، ويعد غذاءً متكاملاً لنمو دودة القز ، وإنتاج الحرير الطبيعي الغالي الثمن ، هذه الشجرة لم تتساقط أوراقها في خريف ، ولا في شتاء هذا العام الآن في وقت متأخر جداً مما سبب إلى خسائر فادحة في أعمال المشاتل والبستنة في نقل وتقليم وتطعيم هذه الشجرة التي تعد إحدى المصادر المربحة ، والاقتصادية لإنتاج العلف الأخضر ، وإنها شجرة لا تزال غير معروفة وغير مجربة في كثير من دول العالم في مجال تغذية المواشي ، ويعتقد العلماء اليوم إن سبب ارتفاع درجة الكرة الأرضية هو ضعف طبقة الأوزون المحيطة بالغلاف الجوي ، والتي تعتبر درعاً واقياً من أشعة الشمس ، وإن حدوث ثقب في هذه الطبقة بسبب الغازات الصناعية التي تنتجها المعامل ، وترسلها إلى الأعالي قد يؤدي إلى كارثة تهدد العالم بسبب تعرض الكرة الأرضية إلى أشعة الشمس في شدة لا تحتملها النباتات والإحياء ، وقد ظهرت مؤخراً نظريةً فلكيةً تعلل ارتفاع درجة الكرة الأرضية بسبب تناقص أطراف هذه الكرة وانتقالها من شكلها البيضوي إلى شكل الكرة مما يؤدي إلى تناقص في حجم الكرة الأرضية ، ولا يعرف أحد لحد الآن تعليلاً لهذا التناقص ، وهل هناك معجزة في ذلك .

☆☆☆

﴿ إنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها ﴾

☆☆☆

نافذة على حياة الإمام الندوي :

العلامة الشريف أبو الحسن علي الندوي
مجدداً لقرنه وإماما

بقلم : الأستاذ محمد أكرم الندوي
(أوكسفورد - إنجلترا)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، محمد النبي الأمي الأمين ، المبعوث رحمةً للعالمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وعلى من تبعهم من أئمة الدين الذين اختارهم الله تعالى للدعوة إلى دينه الحنيف ، وتطهيره من المحدثات والشوائب ، و إقامة السنن ، وإماتة البدع إلى يوم الدين .

أخبرنا شيخنا الإمام السيد الشريف أبو الحسن علي الندوي غير مرة ، قال : أخبرنا العلامة المحدث حيدر حسن بن أحمد حسن الطونكي ، والمحدث الأثري الإمام عبد الرحمن المباركفوري ، قالا : أخبرنا العلامة الإمام نذير حسين المحدث الدهلوي ، قال : أخبرنا الإمام المحدث محمد إسحاق الدهلوي ، قال : أخبرنا جدي لأمي الإمام المحدث عبد العزيز الدهلوي ، قال : أخبرنا والدي الإمام المحدث أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي ، قال : أخبرنا الشيخ الإمام تاج الدين محمد بن عبد المحسن القلعي ، قال : أخبرنا أحمد بن محمد أبي الخير المرحومي الشافعي ، قال : أخبرنا الشيخ سالم السنهوري ، أخبرنا النجم الغيطي ، أنا القاضي زكريا الأنصاري ، أنا محمد بن مقبل الحلبي ، أنا الصلاح بن أبي عمر المقدسي ، أنا الفخر علي البخاري ، أنا أبو حفص عمر ابن طبرزذ ، أنا أبو البدر الكرخي ، أنا الحافظ أبو بكر الخطيب ، أنا أبو عمر القاسم بن جعفر

البغدادي ، أنا أبو علي محمد بن أحمد اللؤلؤي ، أنا سليمان بن الأشعث الحافظ ، ثنا سليمان بن داؤد المهري ، أنا ابن وهب ، أخبرني سعيد بن أبي أيوب ، عن شراحيل بن يزيد المعافري ، عن أبي علقمة ، عن أبي هريرة فيما أعلم عن رسول الله ﷺ ، قال : إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها (١) .

هذا الحديث أصل أصيل في باب التجديد والإمامة ، وإحياء الدين وإقامة السنن ، وإماته البدع على رأس كل مائة سنة ، وذهب عامة العلماء إلى أن بناء التجديد ليس إلا على معرفة السنن والآثار ، والجهاد لإحيائها وإقامتها ، ومقاومة البدع والمحدثات وبذل أقصى ما في الوسع لإزالتها وإماتتها ، وقال الإمام البخاري رحمه الله تعالى في شرح حديث : "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك"(٢) ، هم أهل العلم ، وقال أحمد بن حنبل : إن لم يكونوا أهل الحديث ، فلا أدري من هم (٣) .

وترجح لدى العلماء أن أمر التجديد لا ينحصر في شخص واحد ، بل قد تتولاه طائفة ، قال الإمام النووي في شرح الحديث السابق من صحيح مسلم : ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين ، منهم شجعان مقاتلون ، ومنهم فقهاء ، ومنهم محدثون ، ومنهم زهاد ، وآمرون

(١) هذا حديث صحيح أخرجه أبو داؤد في سننه ، كتاب الملاحم ، باب ما يذكر في قرن المائة ، والحاكم في المستدرك ، كتاب الفتن والملاحم : ٨٥٩٢ ، والبيهقي في مقدمة معرفة السنن والآثار .

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب قوله : "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم" بطرق عديدة .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١٣:٥٧ .

بالمعروف ، وناهون عن المنكر ، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير ، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين ، بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض (١) ، وقال الحافظ ابن حجر معلقاً على مقالة الإمام النووي : ونظير ما نبه عليه ما حمل عليه بعض الأئمة ، حديث : "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها" أنه لا يلزم أن يكون في رأس كل مائة سنة واحد فقط ، بل يكون الأمر فيه ، كما ذكر في الطائفة وهو متجه ، فإن اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لا ينحصر في نوع من أنواع الخير ، ولا يلزم أن جميع خصال الخير كلها في شخص واحد ، إلا أن يدعي ذلك في عمر بن عبد العزيز ، فإنه كان القائم بالأمر على رأس المائة الأولى باتصافه بجميع صفات الخير وتقدمه فيها ، ومن ثم أطلق أحمد أنهم كانوا يحملون الحديث عليه ، وأما من جاء بعده ، فالشافعي وإن كان متصفاً بالصفات الجميلة إلا أنه لم يكن القائم بأمر الجهاد والحكم بالعدل ، فعلى هذا كل من كان متصفاً بشئ من ذلك عند رأس المائة ، هو المراد سواء تعدد أم لا (٢) .

اجتمع لشيخنا الإمام أبي الحسن من العلم بكتاب الله تعالى ، وسنن نبيه ﷺ ، والتقوى والورع ، وإخلاص العمل والتجريد ، والعبادة والزهد ، والدعوة إلى دين الله تعالى ، وتطهيره من البدع والشوائب ، وتنقية المجتمعات الإسلامية من المحدثات والمنكرات ، وإحياء السنن وإقامتها ، ومواقفه من الأزمات والفتن التي زعزعت أركان الأمة الإسلامية في شبه القارة الهندية ، بل وفي العالم الإسلامي بأسره ما يؤكد توليه منصب الإصلاح والتجديد في جماعة من أهل العلم والفضل على رأس القرن

(١) شرح النووي على صحيح مسلم : ج/١٣ ، ص/٥٧-٥٨ .

(٢) الحافظ ابن حجر : فتح الباري : ج/١٣ ، ص/٣٦٥-٣٦٦ .

الرابع عشر الهجري .

وفيما يلي نبذة يسيرة لشرح صفاته التي أهلته لهذا المنصب الجليل من التجديد والإمامة .

☆ نسبه : هو الشيخ الإمام العالم الرباني الداعية الكبير العلامة الشريف أبو الحسن علي بن عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي بن علي محمد ابن أكبر شاه بن محمد شاه بن محمد تقي بن عبد الرحيم بن هداية الله بن إسحاق بن محمد معظم بن القاضي أحمد بن القاضي محمود الحسني العلوي الهاشمي ، ينتهي نسبه إلى عبد الله الأشتر بن محمد ذي النفس الزكية ابن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي وفاطمة ، رضي الله عنهم .

هذا أشرف نسب ، فإنه يتصل بخاتم المرسلين ، ثم بواسطته ، وبواسطة علي بن أبي طالب ، ينتهي نسبه إلى إسماعيل وإبراهيم عليهم صلوات الله وتسليماته ، وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن * قال : إني جاعلك للناس إماماً * قال : ومن ذريتي ، قال : لا ينال عهدي الظالمين ﴾ ، فدلت الآية الكريمة على إمامة إبراهيم عليه السلام ، وإجابة الله تعالى دعاءه لجعل الإمامة في ذريته إلا الظالمين منهم ، ويفسر الآية الكريمة الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري في صحيحه عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ، قال : سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا أكبه الله في النار على وجهه ما أقاموا الدين (١) ، فشرط إمامتهم بإقامتهم للدين .

ولد في هذا البيت العريق ، وهو من أشهر بيوتات العالم في العلم والفضل ، ونبغ فيه علماء ودعاة ومجاهدون عرفهم التاريخ ، وكان أشهرهم

(١) الإمام البخاري : الجامع الصحيح ، كتاب الأحكام ، باب الأمراء من قريش .

وأكبرهم في العصر الأخير الإمام أحمد بن عرفان الشهيد رحمه الله تعالى .

أما والد شيخنا فهو العلامة الكبير مؤرخ الهند الشهير المحدث الأثري الطبيب السيد الشريف عبد الحي الحسني ، صاحب التواليف النافعة ، والكتب القيمة السائرة ، والأمين العام الثاني لدار العلوم لندوة العلماء ، وعضو هيئتها التأسيسة ، ألف : "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر" في ثمانية مجلدات عن تاريخ أعلام الهند ، وهو كتاب ليس له نظير في بابه ، وقد اتفق لي العمل حول تاريخ المسلمين في الهند العلمي والثقافي ، وراجعت ما أمكنني من المصادر ، فلم أر مثله ، ولا ما يقاربه في الدقة والشمول ، وكثرة الصواب ، وقلة الخطأ ، فجزى الله مؤلفه عن الإسلام والمسلمين خيراً .

ومن أهم ما يمتاز به العلامة السيد عبد الحي الحسني هو تقدمه في الحديث الشريف وعلومه ومعرفة رجاله ، ولا سيما المتأخرين منهم ، ويشهد بذلك كتابه : "نزهة الخواطر" ، فلا يمر بتراجم العماء حتى يستقصي مسموعاتهم ومقروءاتهم وأسانيدهم وإجازاتهم ، وكانت له إجازات من المسندين في زمانه ، وأعلى أسانيده روايته عن الإمام فضل الرحمن الكنج مراد آبادي ، الراوي عن إمام الهند عبد العزيز بن أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي بلا واسطة ، وهذه مفخرة عظيمة له تعرف ولا تنكر ، ومن أعلى أسانيده روايته عن العلامة رأس المحدثين حسين بن محسن الأنصاري ، والعلامة السيد نذير حسين المحدث الأثري الدهلوي ، و العلامة المقرئ عبد الرحمن الباني بتي ، وغيرهم من أكابر مسندي زمانه ، ولم أطلع رغم بحثي على إجازته لأولاده ، وسألت شيخنا أبا الحسن فأنكر أن يكون والده أجاز له ، ولو أجاز له لورث شيخنا إسناداً عالياً جداً ، وإن كنت لا أستبعد إجازته لأولاده لما عرف ذلك من عادة عامة المحدثين ، وبحثي عن ذلك لم ينقطع .

توفي هذا العالم البحر ، المحدث الكبير ، والمؤرخ النابغة سنة إحدى وأربعين وثلاث مائة وألف .

☆ مولده ونشأته : ولد شيخنا الإمام أبو الحسن في بلدة رائ بريلي (على مسافة ثمانين كلو متراً من لكناؤ) في السادس من محرم الحرام سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مائة وألف ، ونشأ في مهد العلم والفضل ، وتربى في بيئة الدعوة إلى التوحيد والسنة ، والبعد عن البدع ، والدعوة إلى الله ، والجهاد في سبيله ، نشأ والقرآن حوله يتلى ، والحديث يذاكر ، والفقه يدرس ، وقصص جهاد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد تعاد عليه .

☆ طلبه للعلم : درس اللغة العربية وآدابها على علامة العربية الشيخ خليل ابن محمد اليماني ، و العلامة الشيخ محمد تقي الدين الهلالي المراكشي ، فأتقن اللغة العربية نطقاً و كتابةً ، و تقدم فيها تقدماً قلما يوجد له نظير ، وفاق الأقران في الكتابة و الخطابة باللغة الأردية الفصحي ، كما أتقن اللغتين الفارسية والإنكليزية .

و درس علوم الإسلام من التفسير و الحديث و الفقه ، و عني بتاريخ الإسلام بصفة خاصة ، وتاريخ الأمم والبلدان ، والحضارات والمدنيات بصفة عامة .

أخذ التفسير عن الأستاذ خواجه عبد الحي الفاروقي ، ثم عن إمامه في العصر الأخير العالم الورع الشيخ الرباني أحمد علي اللاهوري ، المفسر المشهور ولازمه أربع سنوات ، وأخذ شيئا من تفسير البيضاوي من العلامة حيدر حسن خان الطونكي .

☆ أخذه للحديث النبوي الشريف :

وأخذ الحديث من العلامة المحدث حيدر حسن خان الطونكي ، الراوي عن العلامة السيد نذير حسين المحدث الدهلوي ، والعلامة حسين ابن محسن الأنصاري ، حضر عليه الصحيحين ، وسنن أبي داؤد ، وجامع

أبي عيسى ، وكان له أنس به كبير ، وسمعت شيخنا أباالحسن ، يقول : إنه لم يكن من عادته كتابة الإجازة بخط يده ، بل كان يسأل بعض الطلاب فيكتبها للمستجيزين منه ، ولكنه لحبه إياه وأنسه به خصه بكتابة الإجازة العامة له بخط يده .

وحضر شيخنا دروس العالم الكبير المجاهد الشيخ حسين أحمد المدني في الحديث ، والشيخ المدني ، يروي عن العلامة شيخ الهند محمود حسن الديوبندي ، والعلامة خليل أحمد السهارنفوري ، صاحب بذل المجهود ، والعلامة عبد العلي الميرتي ، والمسند الكبير أحمد البرزنجي ، مفتي الشافعية بالمدينة المنورة ، والشيخ عبد الجليل برادة المدني ، والشيخ محمد بن سليمان الشهير بحسب الله الضرير الشافعي ، والشيخ عثمان عبد السلام الداغستاني ، مفتي الحنفية بالمدينة المنورة (١) .

واستجاز العلامة المحدث عبد الرحمن المباركفوري ، صاحب "تحفة الأحوذي" ، الزاوي عن العلامة السيد نذير حسين المحدث الدهلوي ، والعلامة حسين بن محسن الأنصاري ، والقاضي محمد بن عبد العزيز المجهلي شهري ، وهذه مزية كبيرة ، فقد تأخرت وفاة شيخنا إلى أن لم يبق أحد يروي معه عن العلامة عبد الرحمن المباركفوري .

و كان - رحمه الله تعالى - إلى جانب ظفره بهذه الأسانيد العالية كثير العناية بالحديث الشريف تعليماً وتعلماً ، وفقهاً ، وحرصاً على متابعة السنن والآثار .

☆ تدريسه وتأليفه : عيّن مدرساً في دار العلوم لندوة العلماء ، و مكث

(١) إن أسانيد شيخ الإسلام حسين أحمد المدني رحمه الله تعالى عاليةً جداً ، لا سيما روايته عن أحمد البرزنجي ، ومن ثم حصلت لتلاميذ شيخ الإسلام مزية كبرى في باب الرواية ، فليتبادر الطلاب إلى الاستجازة من بقاياهم .

فيها عشر سنوات يدرس التفسير والحديث وعلوم اللغة العربية وآدابها ، واشتغل بجوار ذلك بالكتابة في مجلة : "الضياء" العربية الصادرة في دار العلوم ، واشتغل كذلك بالتأليف بالأردية ، وظهر كتابه : "سيرة السيد أحمد الشهيد" فكان الإقبال عليه عظيماً ، ورأس تحرير مجلة : "الندوة" الأردية ، وكانت لسان حال الندوة ، وألف : "مختارات في الأدب العربي" ، و "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" ، و "مبادئ دراسة القرآن الكريم" ، و "السيرة النبوية" ، و "الحديث والسنة ودورهما في الصيانة عن التحريف والأنحراف" ، و "المدخل إلى دراسات الحديث النبوي الشريف" ، و "الإمام محمد بن إسماعيل البخاري وكتابه الصحيح" ، و "دور الحديث في تكوين المناخ الإسلامي وصيانته" ، و "قصص النبيين" ، و "رجال الفكر والدعوة في الإسلام" ، و "الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية" ، و "الأركان الأربعة" ، و "العقيدة والعبادة والسلوك" ، و "إذا هبت ريح الإيمان" ، و "المرتضى" ، و "القادياني والقاديانية" ، و "الطريق إلى المدينة" ، و "المسلمون في الهند" ، وغيرها من المؤلفات .

☆ ثبته : وله ثبت "نفحات الهند واليمن بأسانيد الشيخ أبي الحسن" جمعه كاتب هذه السطور ، طبعه ، وقدم له أخونا المسند محمد بن عبد الله آل الرشيد .

قال أخونا محمد الرشيد في تقديمه : "ونظراً لمكانته العلمية الرفيعة ، وشهرته الواسعة في الأقطار الإسلامية ، فقد حرص كثير من كبار أهل العلم على الاتصال بأسانيده ، والرواية عن طريقه لما أكرمه الله تعالى من تحقق بهدى السنة النبوية والعمل بها والدعوة إليها ، ولما حباه الله سبحانه من علو في الإسناد والرواية عن كبار أهل الحديث " ... "وعلو الإسناد ومكانة الشيوخ الذين يروي عنهم خير مما درج عليه بعض الناس من الاستكثار من الرواية عمّن هب ودرج من الشيوخ دون تحقق بالعلم وتوثق من الرواية ، وطالب العلم يفتخر ويعتز أن يتصل سنده إلى رسول الله ﷺ عن أمثال العلامة الجليل السيد أبي الحسن الندوي حفظه الله تعالى" .

☆ الرواة عنه : و رواية شخنا الإمام عن العلامة عبد الرحمن المباركفوري ، المتوفى سنة ثلاث وخمسين وثلاث مائة وألف ، والعلامة المحدث حيدر حسن الطونكي ، المتوفي سنة إحدى وستين وثلاث مائة وألف بعد أن مضى الآن على وفاة الأول ، منهما سبعة وستون عاماً ، وعلى وفاة الثاني تسعة وخمسون عاماً من العوالي ، فقد قال محدث الشام الحافظ الإمام ابن جوصا ، المتوفى سنة عشرين وثلاث مائة : "إسناد خمسين سنة من موت الشيخ إسناد علو" (سير أعلام النبلاء : ١٥-١٦) ، وهذا مما جعله من مسندي زمانه .

وقد كثر الرواة عنه والمستجيزون منه من كل طبقة ، وظلت العادة المتبعة في دار العلوم لندوة العلماء منذ أمد بعيد أن تكون ختمة صحيح البخاري عليه ، وحضرت كثيراً من هذه الختمات ، ولله الحمد ، وممن روى عنه شيخنا الإمام حافظ زمانه المحدث الذي لا يجارى الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله ، وتوفي قبله بثلاث سنين ، كما روى عنه من شيوخنا العلامة المحدث محمد على المراد الحموي ، والعلامة المحدث عبد الله بن عبد القادر التليدي ، والعلامة المؤرخ أحمد سردار الحلبي ، وشيخنا الأستاذ العلامة محمد الرابع الحسني الندوي ، رئيس ندوة العلماء الآن ، وشيخنا الأستاذ محمد واضح رشيد الندوي ، وشيخنا المحدث الداعية السيد سلمان الحسيني الندوي ، وشيخنا المجيز أبو عمار زاهد الراشدي ، وشيخنا المسند محمد أبو الهدى اليعقوبي .

وأجاز صديقنا الفاضل السيد عبد الله بن محمد بن عبد العلي بن عبد الحي ، وصديقنا ومجيزنا المسند محمد بن عبد الله آل الرشيد وأولاده ، وصديقنا الفاضل افتخار زمان ، وأخي محمد مزمل الندوي ، وأخواتي أسماء وعاصمة وصائمة ، وبناتي حسنى ، وسمية ، ومحسنة ، مريم ، وفاطمة ، وقد تشرف كاتب هذه السطور بإجازته غير مرة .

[للحديث صلة]

أخبار ثقافية واجتماعية :

رابطة الأدب الإسلامي العالمية
تعقد ندوتها الأدبية السنوية (السابعة عشرة)
حول موضوع : "أدب الأطفال"
في الجامعة الإسلامية ، بهتكل بجنوبي الهند

(١)

أعد التقرير : الأستاذ إقبال أحمد الندوي
مدير مكتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية لشبه القارة الهندية

انعقدت الندوة الأدبية السنوية العامة (السابعة عشرة) لرابطة الأدب الإسلامي العالمية لشبه القارة الهندية ، والدول الشرقية حول موضوع : "أدب الأطفال" ، وذلك في الفترة ما بين ٨-١٠/من أكتوبر ٢٠٠٠م في الجامعة الإسلامية ببهتكل جنوبي الهند على دعوة فرع الرابطة في بهتكل وتعاونه ، رأس الندوة سعادة الشيخ الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي ، نائب الرئيس الأول للرابطة ، ورئيس مكتب شبه القارة الهندية ، والبلدان المجاورة لها ، وكانت هذه الندوة أول ندوة عقدت بعد وفاة سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي - رحمه الله تعالى - المؤسس والرئيس العام لرابطة الأدب الإسلامي العالمية ، وكانت ندوة ناجحة موفقة كماً وكيفاً ، فقد حضرها أكثر من مأة مندوب من أنحاء الهند المختلفة ، كما حضرها بعض المندوبين من إمارات الخليج وغيرها كذلك ، وقُدمت فيها أكثر من ثلاثين بحثاً في جلساتها المختلفة للبحوث ، كانت أربعة بحوث منها في العربية ، وبحث في الإنجليزية .

أما المدن التي حضر منها الندوبون ، فهي : مدينة لكناؤ ، و رائ بريلي ، وأعظم كره ، وعلى كره ، وميرت ، وبجنور ، ودلهي ، وبوفال ، وإندور ، وبرهانفور ، وأورنج آباد ، وناغفور، وبونا ، ومومبائ ، و أمراوتي ، وغجرات ، وبهتكل ، وبنغلور، وحيدرآباد ، وكتك ، وبهيوندي ، وشكاريفور، وبيلجام ، وماليغاؤن ، ومظفرنغر ، وجودهفور ، ومنغلور ، وغير ذلك .

أما المدارس الإسلامية الدينية ، والمراكز العلمية التعليمية ، والجامعات العصرية الحكومية ، التي حضر منها وفود وممثلون في الندوة ، فهي : جامعة ندوة العلماء لكناؤ ، وجامعة عليكره الإسلامية ، والجامعة الملية الإسلامية بدلهي ، وجامعة دلهي ، ومدرسة ضياء العلوم رائ بريلي ، ودار المصنفين بأعظم كره ، والجامعة الإسلامية العربية ميرت ، وجامعة الفيصل بجنور، ودار العلوم تاج المساجد بوفال ، ومدرسة الفلاح بإندور، و جامعة كاشف العلوم أورنج آباد ، و دار العلوم أصحاب الصفة بأمراوتي ، ومجلس تعليم القرآن ناغفور، ودار العلوم الإسلامية جودهفور، والجامعة الإسلامية بهتكل ، ومدرسة تنوير الإسلام مرديشور ، ودار العلوم سبيل الرشاد بنغلور ، ودار العلوم سبيل السلام حيدرآباد .

بدأت الجلسة الافتتاحية تحت رئاسة سعادة الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي - حفظه الله تعالى ورعاه - في حرم الجامعة الإسلامية الكبير بتلاوة آي من الذكر الحكيم ، تلاها الأخ الأستاذ محمد نعمة الله عسكري الندوي ، وذلك في صباح يوم الأحد في الساعة التاسعة والنصف بتاريخ ٨/من شهر أكتوبر ٢٠٠٠م ، وكان مقرر الجلسة البروفيسور السيد ضياء الحسن الندوي ، بعد تلاوة القرآن الكريم أنشد الأخ سالك برماور الطالب في الجامعة الإسلامية في بهتكل ، والدكتور سرور عالم الندوي من جامعة عليكره الإسلامية بعض أبيات للشاعر الإسلامي الكبير الدكتور محمد إقبال ، ثم ألقى السيد ضياء الحسن الندوي ، مقرر الجلسة الضوء على دواعي تأسيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية وأهدافها ونشاطاتها وخدماتها التي حققتها خلال العشرين سنة الماضية ، كما أوضح أهمية موضوع : "أدب الأطفال" في ضوء أجواء البلاد وظروفها ، وذكر الأدباء والشعراء الذين قاموا بإثراء هذا الموضوع بكتاباتهم وإنتاجاتهم الأدبية .

وكان رئيس لجنة الاستقبال هو الأستاذ الشيخ محتشم عبد الغني ، وهو رئيس الجامعة الإسلامية بهتكل ، وعضو اللجنة الاستشارية لجامعة ندوة العلماء لكناؤ ، ويشرف على عدد من المعاهد التعليمية ، والمنظمات الخيرية والاجتماعية ، فرحب بالمندوبين والمساهمين ترحيباً حاراً أصالة عن نفسه ، ونيابة عن مسلمي مدينة بهتكل ، ومسؤلي الجامعة الإسلامية بهتكل ، ثم قدم الأستاذ محمد إلياس الندوي ، مسؤل فرع الرابطة في

بهتكل ، كلمة الترحيب في أسلوبه الخاص ، ولهجته الجذابة المؤثرة ، عرف المندوبين والضيوف المكرمين ببلدة بهتكل ، وخصائصها العلمية والدينية ، والثقافية والحضارية ،كما أشار إلى طبائع أهالي هذه البلدة العربية ، وغيرتهم الإسلامية ، وحميتهم الدينية ، وحبهم للأمن والسلام وضيافتهم وتواضعهم ، وما يبذلونه من المساعي لإبقاء هويتهم الإسلامية ، كما ذكر المعاهد التعليمية ، والمراكز العلمية ، والهيئات الخيرية ، والمنظمات الاجتماعية ، والمؤسسات الدينية التي تسعى للحفاظ على هذه الخصائص والمزايا .

ثم قدم نائب الأمين العام لرابطة الأدب الإسلامي العالمية فضيلة الأستاذ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي تقريره ، ذكر فيه الندوات التي عقدت ، والنشاطات التي قامت بها رابطة الأدب الإسلامي خلال سنتين ماضيتين ، فذكر أن الرابطة وفروعها المختلفة نظمت برامج أدبية وعلمية مختلفة في أنحاء البلاد على الصعيد المحلي ، حضر هذه البرامج نخبة موقرة من الأدباء والشعراء والكتاب والمؤلفين من المدارس والجامعات ، وقد ظهر أثر هذه البرامج والجلسات حتى على عدد من الأدباء العلمانيين البعيدين عن الوجهة الإسلامية للأدب ، فمن حضر منهم هذه البرامج والجلسات اعترف بها وأثنى عليها ، وبدأ يواصل الحضور فيها ، وهكذا تتسع دائرة أعمال رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، وتستمد من هذه البرامج القوة والحيوية والنشاط .

كما ذكر نائب الأمين العام نشاطات مكاتب الرابطة الإقليمية في البلدان المجاورة من آسيا الجنوبية الشرقية من باكستان وبنغلاديش وماليزيا وإندونيسيا كذلك ، وأشاد بخدماتها ونشاطاتها الأدبية والعلمية .

وأخيراً ذكر الأستاذ الشيخ محمد واضح رشيد الندوي في تقريره سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي وخدماته الجليلة في أدب الأطفال ، فقال : لقد كان لسماحة الشيخ الندوي دور رائد في أدب الأطفال الإسلامي ، فقد كان أدب الأطفال أدب التسلية بقصص الكلاب والذئاب والدجاج والسحرة والجان ، كما أشار إليه سماحته في مقدمة كتابه قصص النبيين للأطفال ، وما ألف من الأدب الإسلامي للأطفال كان يخلو من التسلية والترفيه ، ولم تكن فيه رعاية لنفسية الأطفال ونزعاتهم ، فجاء كتاب سماحته في هذا الموضوع كبادرة إسلامية ، لتحويل

أدب الأطفال إلى الجهة الإسلامية ، جهة تربية النفس مع تسليتها برعاية الفضائل ، وقد نال عمله الاعتراف والتقدير من أدباء العرب كالشيخ علي الطنطاوي ، وأحمد الشرباصي ، وسيد قطب ، ولم يكن لسماحته كتاب قصص النبيين وحده ، بل له مجموعات للقصص فيها التسلية والتربية ، والتوجيه الإسلامي ، والأدب الأصيل ، ولم تجتمع هذه العناصر في أدب مؤلف آخر ، ولذلك يعد سماحته رائد أدب الأطفال الإسلامي أيضاً ، كما أنه يعد رائد الأدب الإسلامي العام ، ولذلك إن هذه الندوة التي تعقد لأدب الأطفال لا تخلو من ذكر سماحته ، و دوره الرائد في أدب الأطفال .

وشكر المسؤلين عن الجامعة الإسلامية في بهتكل على عقد هذه الندوة ، وقدم الأستاذ نذر الحفيظ الندوي ملخص التقرير بالأردية .

ثم قدم سعادة الأستاذ الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي ، رئيس مكتب شبه القارة الهندية ، والبلدان المجاورة كلمته الرئاسية ، استعرض فيها موضوع أدب الأطفال وأهميته ، فذكر أنه كانت عقدت على موضوع أدب الأطفال ندوة علمية قبل عشرة أعوام في استانبول تركيا ، تحت إشراف مكتب البلدان العربية والغربية لرابطة الأدب الإسلامي العالمية ، وحيث إن هذا الموضوع موضوع هام جداً ، فلا تفي بحقه ندوة أو ندوتان ، فإننا نعقد هذه الندوة علىهذا الموضوع ، ويسرنا أنه يشترك فيها عدد لا بأس به من الأدباء والدارسين الباحثين من المنطقة الشرقية لرابطة الأدب الإسلامي العالمية .

وذكر الرئيس المبجل في خطبته الأدباء والشعراء والمؤلفين الذين قاموا بإنتاج أدب الأطفال وإثرائه بكتاباتهم ، كما ذكر المعاهد والجماعات والمؤسسات التي أعدت كتباً قيمة جديرة بالذكر في هذا الموضوع .

وقسم الشيخ محمد الرابع الندوي أدب الأطفال إلى ثلاثة أقسام رئيسية : القسم الأول : أدب الأطفال التعليمي الذي يستخدم فيه حسن التعبير ، والأسلوب السهل السائغ للغرض التعليمي ، والقسم الثاني : أدب الأطفال للتسلية الذي توفر فيه وسائل التسلية الثقافية للأطفال عن طريق القصص ، والحكايات ، والمنظومات الشعرية ، والقسم الثالث لأدب الأطفال : هو الأدب التربوي والإصلاحي ، الذي يتناول جوانب الأخلاق والتربية بمراعاة المقاييس الأدبية ، ثم ألقى الضوء على خصائص كل قسم

من هذه الأقسام لأدب الأطفال ومزاياه وأغراضه وأهدافه ، كما ذكر بعض الشخصيات الإسلامية البارزة ، في داخل الهند وخارجها ، وبعض المؤسسات التعليمية ، والمراكز العلمية التي قامت بدور رائد ، وأعمال جليلة في هذا الموضوع ؛ فذكر شخصية الدكتور ذاكر حسين ، رئيس جمهورية الهند الأسبق ، مع ذكر بعض الشخصيات في البلاد العربية ، وذكر من المعاهد التعليمية ، والمراكز العلمية ، الجامعة الملية الإسلامية بدلهي ، ودار المصنفين بأعظم كره ، ونادي تعمير الأدب للجماعة الإسلامية الهندية بصورة خاصة وألقى الضوء مفصلاً على خدمات وأعمال سماحة الشيخ الندوي رحمه الله تعالى في موضوع أدب الأطفال ، وذكر مؤلفاته في أدب الأطفال كالقراءة الراشدة ، وقصص النبيين للأطفال ، وقصص من التاريخ الإسلامي بصفة خاصة .

وتحدث في الجلسة كل من فضيلة الشيخ عبد الكريم باريك ، رئيس مجلس تعليم القرآن في ناغفور ، والدكتور خليق أنجم ، رئيس جمعية تطوير وتنمية اللغة الأردية في نيودلهي ، وفضيلة الشيخ عبد الله المغيثي ، رئيس الجامعة الإسلامية العربية بأجراره ميرت ، والمفتي محمد أشرف علي الباقوي ، مدير دار العلوم سبيل الرشاد في بنغلور ، والدكتور علي مليا ، وكل هؤلآء ذكروا أهمية الموضوع ، وأشادوا باختياره لهذه الندوة في هذه الأرض المباركة في مثل هذه الظروف والأوضاع ، وانتهت الجلسة الافتتاحية في الساعة الواحدة ظهراً على دعاء دعا به للناس الدكتور علي مليا مسترشد العالم الرباني الشيخ أبرار الحق حفظه الله تعالى ورعاه .

وفي نفس اليوم (٨/أكتوبر) بعد صلاة المغرب بدأت الجلسة الأولى للبحوث والمقالات ، واستمرت إلى ثلاثة أيام ، وكانت مجموعها سبع جلسات ، انعقدت خمس جلسات منها في قاعة المحاضرات الكبيرة للجامعة الإسلامية بهتكل ، وجلستان في قاعة المحاضرات لمدرسة تنوير الإسلام في مرديشور ، وسوف نقدم تفاصيل هذه الجلسات والبحوث في العدد القادم - إن شاء الله تعالى - .

☆☆☆

الاجتماع/١٤ لهيئة الأحوال الشخصية الإسلامية

عقدت هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند ، اجتماعها الرابع عشر في مدينة بنغلور (الهند) ، وذلك في الفترة ما بين ٢٨-٢٩/من شهر أكتوبر ٢٠٠٠م - الموافق ٢٩-٣٠/من شهر رجب ١٤٢١هـ ، برئاسة فضيلة الشيخ مجاهد الإسلام القاسمي ، رئيس الهيئة العام .

كان جدول الأعمال للاجتماع يحتوي على القضايا الساخنة التي يواجهها المسلمون على مستويات عديدة ، وخاصة على الأخطار التي تحدق بقوانين الشريعة الإسلامية .

وقد حضر عدد كبير من أعضاء الهيئة ، وغيرهم من كبار الشخصيات العلمية والقانونية ، وناقشوا القضايا والمشكلات في ضوء الشريعة الإسلامية ، واتخذ الاجتماع عدة قرارات بناءة حول إصلاح المجتمع وتنشيط حركته ، وطباعة منشورات الهيئة بلغات مختلفة ، واستعراض الأحداث التي تسبب التفريق بين المسلمين ، وتشتيت شملهم الاجتماعي ، وتنظيم المجهودات للوحدة الإسلامية والتضامن الاجتماعي بين المسلمين .

وقد ناشد الاجتماع الحكومة بعدم التدخل في قوانين الشريعة الإسلامية ، وخاصة فيما يتعلق بالقضايا العقدية والعائلية .

يرجى أن يكون لهذا الاجتماع المهم أثره البعيد في تقديم حلول للمشكلات التي يواجهها المجتمع المسلم ، والقضايا التي تمس حياة المسلمين في جميع المجالات ، في هذه البلاد.

===

البروفيسور معين الأعظمي الندوي

ينال جائزة رئيس الجمهورية الهندية ، لهذا العام

أفادت الأنباء أن البروفيسور معين الدين الأعظمي الندوي نال جائزة رئيس الجمهورية لهذا العام ٢٠٠٠م ، تقديراً لخدماته وأعماله في مجال اللغة العربية ، واعترافاً بمكانته في الأدب العربي ، والبروفيسور الأعظمي يعرف في الأوساط الجامعية في هذه البلاد بنشاطاته العلمية والتربوية ، وأداء مسئوليات البحث والتأليف في صمت وإخلاص ، إنه تخرج من جامعة ندوة العلماء في أواخر الخمسينيات ، وأحرز شهادة التخصص في الأدب العربي ، ثم سافر إلى مصر لمواصلة الدراسة العليا ، حيث تخرج من كلية الآداب بجامعة القاهرة ، وحصل منها على شهادة الليسانس ، وشهادة العالمية من جامعة الأزهر مع إجازة التدريس ، وحصل على شهادة الدكتوراة من جامعة عليكره الإسلامية ، وبعد ذلك اشتغل في القسم العربي لإذاعات عموم الهند الخارجية في نيودلهي ، كمترجم ومذيع في اللغة العربية ، وتمّ تعيينه كمدرس اللغة العربية في المعهد المركزي للغة الإنجليزية ، واللغات الأجنبية ، ثم ترقيته إلى أستاذ مساعد ثم إلى البروفيسور ، وكان رئيساً لقسم اللغة العربية أكثر من خمسة أعوام بالتناوب ، وله عدة مؤلفات بالعربية ، وكان مديراً لعدة ندوات قومية نظمت لرفع مستوى اللغة العربية في الهند ، وقد اشترك في عدد من الندوات ، والدورات التدريبية التي عقدت في الجامعات الهندية .

نهنئ البروفيسور الأعظمي على هذه الجائزة الغالية ، ونتمنى له مستقبلاً زاهراً سعيداً

الاشتراكات السنوية

في الهند : مائة وخمسون ١٥٠/روبية هندية

ثمن النسخة : ١٥/روبية

في العالم العربي و في جميع دول العالم : ٢٠/دولاراً بالبريد السطحي

و

٣٦/دولاراً بالبريد الجوي

☆☆☆

عنوان المراسلات

ترسل الاشتراكات بالشيك : باسم : "البعث الإسلامي" (ALBAAS-EL-ISLAMI)

☆☆☆

وذلك بالعنوان التالي

مكتب البعث الإسلامي

(مؤسسة الصحافة والنشر)

ندوة العلماء ، ص.ب ٩٣

لكناؤ (الهند)

☆☆☆

ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o. NADWATUL-ULAMA
P.O. Box : 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)

☆☆☆

☆ المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

حضرات إخواننا القراء !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد ! فأحمد الله سبحانه وتعالى على هذا التوفيق الغالي الذي أكرمنا به من الاستمرار في خدمة العقيدة و الفكر ، و في مجال البعث الإسلامي ، بطريق مجلة : "البعث الإسلامي" راجياً من الله سبحانه أن يكرمنا بالتأييد الدائم ، و بروح من الاستقامة والصمود ، و الثبات على هذه الجبهة الدقيقة في ظروف صعبة و أوضاع متأزمة تمر بها الأمة ويتعرض لها المسلمون اليوم في كل مكان نحو دينهم وشريعتهم ورسالتهم العالمية .

وبمجرد توفيق الله ومشيئته استطعنا أن ندخل بعض التحسينات المطبعية في المجلة كما يراها و يسر بها القارئ الكريم ، و لا يخفى عليكم أن تكلفة المجلة قد تضاعفت كثيراً بغلاء أسعار الورق و الطباعة وأجور العمال ، فنرجو أن يتكرم كل أخ كريم ببذل مجهوداته في سبيل دعم المجلة وتوسعة نطاق المشتركين الجدد فيها ويشاطرنا في أداء بعض الواجب الذي نتحمله الآن ، و يسمح لنا بلفت الأنظار إلى التعاون على البر والتقوى .

والتحديات تتجدد كل يوم ، وهي تنذر بشر مستطير ، فنرجو أن تتعاونوا معنا على كل جبهة ، ولكم شكرنا وتقديرنا.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل